شهر رجب بين السنة والبدعة

التوحيد

العدد ٦٣١ السنة الثالثة والخمسون رجب ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

الكوربوقراطية والعولمة الاقتصادية

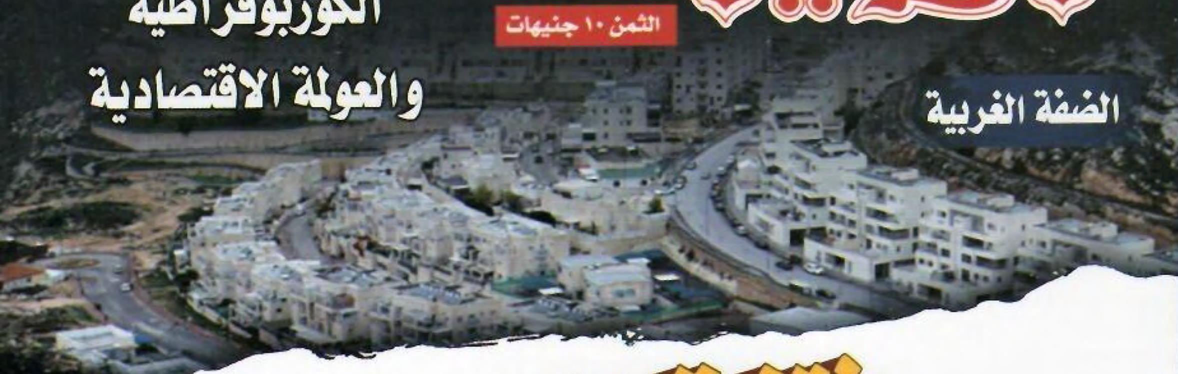

الضفة الغربية

فتنة اليهود
بين شاس بن قيس ونتنياهو

غزة

- ما أسعد الإنسان بصحبة القرآن!
- فلسطين العروبة .. وفردوسنا المفقود!
- قصة الافتراءات الجهمية على حديث الإسراء والمعراج المتواتر

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٣١ السنة الثالثة والخمسون رجب ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام
على مجلة التوحيد
فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٨٠ دولارا أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

السلام عليكم

فلا تعجل عليهم

قال الله تعالى: « فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا » (مريم: ٨٤).

قال الطبري رحمه الله: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، وإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثمًا، ونحن نعدّ أعمالهم كلها، ونحصيها حتى أنفاسهم؛ لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخيار أردناه بهم.

فعلى أرباب الاستعجال أن يعلموا أن لله تَعالى في خلقه سننًا لا تتبدل ولا تتغير، وأن لكل شيء أجلاً مسمى، وأن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد من الناس. وان العجلة في غير موضعها تدل على عدم الحكمة.

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان مَن قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، ثم يُؤتى بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه: ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون». (رواه البخاري).

إن دفاع الله سبحانه وتعالى عن أوليائه حق، ووعده حق، ولكنه شاء أن يكون هذا الدفاع بأسباب يبذلها أولياؤه، من إعداد شامل لكل أسباب النصر.. ومع قدرة الله عز وجل بدون هذه الأسباب؛ إلا أنه شاء أن يربط النصر بمسبباته وقد يعجل النصر أو يتأخر على قدر إحاطتنا بهذه الأسباب.

والنصر قد يبطئ على الذين ظلموا وأُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدها الله جل في علاه.

فيا أيها المسلمون: ثقوا بالله ربكم، فإنه والله ناصركم يوم أن تتجردوا من كل ولاء إلا له، وتتخلوا عن كل التجاء إلا إليه، ويوم أن تكفوا عن نداء غير الله، وتخلصوا لرب الأرض والسماء: (وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: ٤٠).

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

شهر رجب بين السنة والبدعة
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
الكوربوقراطية.. والعولمة الاقتصادية
د. أيمن خليل ٨
ما أسعد الإنسان بصحبة القرآن د. محمد حامد ١٣
لقاء الله د. جمال المراكبي ١٧
خُلق العزة م. محمد ياسين بدر ٢٠
موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم
د. سيد عبد العال ٢١
تاريخ اليهود مع الأنبياء
الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
فتنة اليهود بين شاس بن قيس ونتيناهو
د. عبد الوارث عثمان ٢٨
القصد مع الشنآن د. أحمد سليمان ٣٣
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
داء الزنا وعلاجه د. عبد القادر فاروق ٣٨
تعظيم الأشهر الحُرم الشيخ صلاح عبد الخالق ٤٢
فلسطين العروبة وفردوسنا المفقود
أ. محمد محمود فتحي ٤٥
اليهود نشأة وتاريخًا (الحلقة الثانية)
الشيخ صفوت الشوادفي ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التربية بالحب
الشيخ عادل شوشة ٦١
الإسلام دين العلم الشيخ إبراهيم حافظ ٦٤
أشد الناس بلاءً الشيخ عبده أحمد الأقرع ٦٦
السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم (الحلقة الثانية)
د. عبد الرحمن فودة ٧٠

جمعية أنصار السُنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الالكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

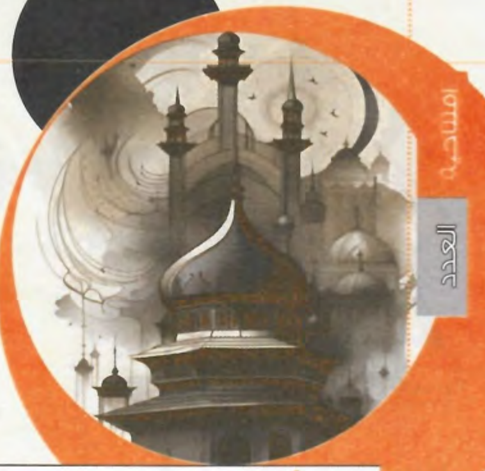

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

شهر رجب

بين السُّنة والبدعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن نعم الله على عباده لا تُحصى، ومن أجلّ هذه النعم كمال الدين وتمام النعمة «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة: ٣).

ومن تمام الدين وكمال النعمة بيان كل شيء وتفصيله قال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل: ٨٩)، وقوله سبحانه: «وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً» (الإسراء: ١٢)، قال القرطبي رحمه الله من أحكام التكاليف. وقال الطبري رحمه الله: وكل شيء بيّنّاه بيانًا شافيًا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نِعَمه وتخلصوا له العبادة.

وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت البدع في كثير من المجتمعات الإسلامية بزعم حبّ الله ورسوله وقد قال سبحانه: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (آل عمران: ٣١).

وخلاصة كلام المفسرين- رحمهم الله- أن هذه آية اختبار فمن زعم حب الله تعالى، عليه أن يتبع رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم.

وقد تضافرت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من البدع ووجوب الالتزام بسننه صلى الله عليه وسلم كما عند أبي داود والترمذي من حديث العرباض بن سارية قوله عليه الصلاة والسلام: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». وفي رواية مسلم «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

قال ابن حجر «رد»: بمعنى مردود، وكأنه قال: فهو باطل غير مُعتدّ به. والمراد بـ«ليس عليه أمرنا»: أمر الدين.

ولا خلاف على أن شهر رجب من الأشهر الحرم التي ورد ذكرها في قوله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ» (التوبة: ٣٦)، وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض والسنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم؛ ثلاث متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» ومضر إحدى القبائل العربية المعروفة في الجاهلية والإسلام. قال ابن حجر: وأضافه رجب إلى مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم.

وقال ابن كثير: وإضافته إلى مضر لبيان صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان.

فعلى المسلم أن يعظّم شعائر الله، وألا يظلم نفسه؛ فإن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وكفى بالبدعة ظلمًا، وقد اعتاد كثير من الناس تخصيص شهر رجب بصيام

> “ قد تضافرت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من البدع ووجوب الالتزام بسننه صلى الله عليه وسلم. ”

وقد أورد ابن تيمية في الفتاوى حديث مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «صُم من الحرم واترك، صُم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاثة...». وقد ورد الحديث في سنن أبي داود وضعفه الشيخ الألباني.

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأن هذا صوم الأربعة الأشهر الحرم جميعًا لا من يخص رجب. وقال رحمه الله: وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة لا يعتمد أهل العلم على شيء منها، وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل. بل عامتها من الموضوعات المكذوبات، وقد صح أن عمر بن الخطاب كان يضرب أيدي الناس ليضعوا أيديهم في الطعام في رجب ويقول: لا تُشبّهوه برمضان. مجموع الفتاوى، كتاب الصيام، ج٢٥، ص ٢٩٠- ٢٩١.

ومما عمت به البلوى اعتقاد كثير من الناس فضل زيارة القبور في شهر رجب ويسمونها (طلعة رجب)؛ حيث يخرج الناس جماعات إلى القبور، وربما أقاموا السرادقات لتجديد العزاء بخلاف

المبيت في القبور ووضع الطعام، وإقامة أسواق البيع والشراء وكأنه عيد من الأعياد، ولا شك في بدعية هذا العمل. ومن الظلم أن ينسب المسلم إلى دين الله ما ليس منه. وقد زين الشيطان ذلك لكثير من الناس.

ومن ذلك ما أضيف إلى شهر رجب مما لم يروه الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى صنف ابن حجر رحمه الله رسالة سماها: «تبيين العجب بما ورد في شهر رجب»، قال فيها: "لم يرد في فضل شهر رجب ولا صيامه شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة. وأما الأحاديث الواردة في فضله أو إحياء شيء منه صريحة فهي على قسمين: ضعيفة وموضوعة"، وهناك مصنف آخر لأبي الخطاب الأندلسي الشهير بابن دحية المتوفى ٦٢٣هـ، فيما يقرب من مائتي صفحة بعنوان: «أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب».

فالحمد لله على كمال الدين وتمام النعمة.

وقد اشتهر عند كثير من الناس الاحتفال في ليلة السابع والعشرين من رجب على أنها ليلة الإسراء والمعراج. ولا خلاف بين أهل العلم في صحة الإسراء والمعراج وثبوت وقوعه بالقرآن والسنة الصحيحة، غير أن تحديد ليلة بعينها لم يرد به الخبر الصحيح. قال ابن كثير في البداية والنهاية: «فعلى قول السدي يكون الإسراء في شهر ذي القعدة، وعلى قول الأزهري وعروة يكون في ربيع الأول، وان ما ورد أن الإسراء في السابع والعشرين من رجب فهو حديث لا يصح. أقول هذا فضلاً عما يكون في هذه الاحتفالات من سرد كلام فيه الغلو في إطراء الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفه بصفات لم يرد بها الخبر الصحيح، مع اعتقاد الناس أن هذه عبادة وأنها ليلة مباركة، وأن صيام يوم السابع والعشرين من العبادات التي يتقرب الناس بها إلى الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

> «لم يرد في فضل شهر رجب ولا صيامه شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة».. الحافظ ابن حجر رحمه الله.

وأصل المنع ليس في ثبوت صحة تاريخ الإسراء والمعراج فحسب، بل لأن هذا الاحتفال لم يرد به حديث صحيح أو فعل أحد من الخلفاء الراشدين.

كما اعتاد كثير من الناس تخصيص صلاة في ليلة أول جمعة من شهر رجب يقال لها صلاة الرغائب، وفي هذا مخالفة لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تخصيص ليلة الجمعة عمومًا بصلاة كما ورد في صحيح مسلم في كتاب الصيام، من حديث أبي هريرة، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم».

وقد سئل ابن تيمية عن صلاة الرغائب فأجاب بأن هذه الصلاة لم يصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا رغّب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من السلف ولا الأئمة ولا ذكروا لهذه الليلة فضيلة تخصها، والحديث المروي في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بذلك.

وبعدُ، فلعل ما يعيشه المسلمون اليوم من ضعف وابادة لشعب غزة وغيره لهو أحق العقوبات التي سببها البدع والخرافات التي ألبسها الكثير من الناس ثوب السنة زورًا وبهتانًا.

فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، والله ولي التوفيق.

سُورَة لُقْمَان

سُورَة لُقْمَان

سورة لقمان

قال الله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ »

(لقمان: ٢١- ٢٤)

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ذم التقليد والمقلدين:

ثُمَّ مع هذا كله ما آمن النَّاس كُلُّهُم، بل منهم من يُجادل في الله، أي في توحيده، وإرساله الرُّسل، ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حُجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح، ولهذا قال تعالى: «ومن النَّاس من يُجادل في الله بغير علم ولا هُدى ولا كتاب مُنير ٢٠» أي: مُبين مُضيء، «وإذا قيل لهم» أي: لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: «اتبعوا ما أنزل الله» أي على رسوله من الشرائع المطهرة، «قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا» أي لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين (تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٥٠).

فهي في غاية القبح، فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلام الله، وهم يأخذون بكلام آبائهم، وبين كلام الله تعالى وكلام العلماء بونٌ عظيم، فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهلاء.

ثُمَّ إنَّ هاهنا شيئًا آخر، وهو أنهم «قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا»، يعني نترك القول النازل من الله ونتبع الفعل، والقول أدل من الفعل، لأنَّ الفعل يحتمل أن يكون جائزًا، ويحتمل أن يكون حرامًا، وهم تعاطوه، ويحتمل أن يكون واجبًا

فِي اعْتِقَادِهِمْ، وَالقَوْل بَيْن الدَّلالَة، فَلَوْ سَمِعْنَا قَوْلَ قَائِل افْعَل، وَرَأَيْنَا فِعْله يَدُلّ عَلَى خِلاف قَوْلِه، لَكَان الوَاجِب الأَخْذ بِالقَوْل، فَكَيْف وَالقَوْل من الله وَالفِعْل من الجُهَّال؟! (التفسير الكبير ٢٥/١٥٤).

ثُمَّ قَال عَلَى طَرِيق الاسْتِفْهَام للاسْتِبْعَاد، وَالتَّبْكِيت: «أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ» أَيْ: يَدْعُو آبَاءَهُم الَّذِين اقْتَدَوْا بِهِمْ فِي دِينِهِمْ، أَيْ: يَتَّبِعُونَهُمْ فِي الشِّرْك، أَوَلَوْ كَان الشَّيْطَان يَدْعُوهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْه من الشِّرْك، «إِلَى عَذَابِ السَّعِير ٢١». وَيَجُوز أَنْ يُرَاد أَنَّـه يَدْعُو هَـؤُلاء الأَتْبَاع «إِلَى عَذَاب السَّعِير ٢١»، لأَنَّه زَيَّن لَهُم اتِّبَاع آبَائِهِمْ، وَالتَّدَيُّن بِدِينِهِمْ. وَيَجُوز أَنْ يُرَاد أَنْ يَدْعُو جَمِيع التَّابِعِين، وَالمَتْبُوعِين إِلَى العَذَاب، فَدُعَاؤُه لِلْمَتْبُوعِين: بِتَزْيِينِه لَهُم الشِّرْك، وَدُعَاؤُه لِلتَّابِعِين: بِتَزْيِينِه لَهُمْ دِين آبَائِهِمْ. وَجَوَاب لَوْ: مَحْذُوفٌ، أَيْ: يَدْعُوهُمْ، فَيَتَّبِعُونَهُمْ، وَمَحَلّ الجُمْلَة: النَّصْب عَلَى الحَال.

وَمَـا أَقْبَـح التَّقْلِيد، وَأَكْـثَر ضَـرَرَه عَلَى صَاحِبِه، وَأَوْخَم عَاقِبَتَه، وَأَشْأَم عَائِدَتَه عَلَى مَنْ وَقَـع فِيه. فَـإِنَّ الدَّاعِي إِلَـى مَا أَنْـزَل الله عَلَى رَسُولِه كَمَنْ يُرِيد أَنْ يَذُود الفَرَاش عَنْ لَهَب النَّار لِئَلاَّ تَحْتَرِق، فَتَأْبَى ذَلِك وَتَهَافَت فِي نَار الحَرِيق وَعَذَاب السَّعِير. (فتح القدير ٤/٢٤١و٢٤٢).

وَهَـذَا السِّيَاق فِي التَّـذْكِير بِنِعَم الله الظَّاهِرَة وَالبَاطِنَة وَكُفْر أَكْـثَر النَّاس بِهَا، أَشْبَه مَا يَكُون بِقَوْلِه تَعَالَى فِي سُورَة إِبْرَاهِيم: «ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ (٣٢) وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ (٣٣) وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (إبراهيم: ٣١- ٣٤). فَصِيغَتَا المُبَالَغَة فِي قَوْلِه تَعَالَى: «لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» اقْتَضَاهُمَا كَثْرَة النِّعَم المُفَاد مِنْ قَوْلِه: «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَة الله لا تُحْصُوهَا»، إِذْ بِمِقْدَار كَثْرَة النِّعَم يَكْثُر كُفْر الكَافِرِين بِهَا، إِذْ أَعْرَضُوا عَنْ عِبَادَة المُنْعِم وَعَبَدُوا مَا لا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا (التحرير والتنوير ١٣/٢٣٧).

وَهُو أَيْضًا أَشْبَه مَا يَكُون بِقَوْلِه تَعَالَى فِي سُورَة النَّحْل: «وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ» (النحل: ٧٨-٨٣).

فضل الإسلام لله:

فَأَمَّا المُؤْمِنُون فَلاَ يَجْحَدُون نِعَم الله وَلاَ يَعْبُدُون غَـيْرَه، وَلِذَلِك قَال تَعَالَى: «وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَد اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الأُمُور ٢٢»:

فَقَوْلُه تَعَالَى: «وَمَـن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى

اللّه » إشَـارَةٌ إلَـى الإيمَـان، وَقـوْلُـهُ: « وَهُـو مُحْسِنٌ » إشَارَةٌ إلَى العَمَل الصَّالِح، فَتَكُون الآيَـة ﴿ مَعْنَى قَوْله تَعَالَى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » (الكَهْف ٣٠). وَقَوْلُهُ: « فَقَد اسْتَمْسَك بالعُرْوَة الوُثْقَى » أَيْ تَمَسَّك بِحَبْلٍ لاَ انْقطَاع لَه، وَتَرقَّى بسَبَبه إلَـى أَعْلَى المَقَامَات. (التفسير الكبير ٢٥/ ١٥٤).

وَقَـالَ بَعْض المُفَسِّرِينَ: المُـرَاد بالإسْلاَم الإخْـلاَص للّه عـز وجـل، وَبـالإحْـسَـان المُتَابَعَة لرَسُول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وَهُمَا شَرْطَان لقَبُول الأَعْمَال، فَلاَ يَقْبَل اللّه من الأَعْمَال إلاَّ مَا كَان للّه خَالصًا، وَلهَدْي رَسُول اللّه مُوَافقًا.

وَقَوْله تَعَالَى: « وَإلَـى اللّه عَاقبَةُ الأُمُـور ٢٢ » وَإلَيْه تَرْجع، وَإلَيْه تَصير، وَسَيُجَازي كُلًّا بعَمَله، « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (الزلزلة: ٨).

نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن على الكافرين:

« وَمَن كَفَر فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إلَيْنَا مَرْجعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بمَا عملوا إنَّ اللّه عَليمٌ بذَات الصُّدُور ٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَليلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إلى عَذَاب غَليظ ٢٤ »:

كَانَ النَّبيَّ صلى اللّه عليه وسلم رَحيمًا، وَلرَحْمَتَه كَان يَحْزَن حُزْنًا شَديدًا عَلَى مَنْ كَفَر به وكَذَّبَه، لأَنَّه يَعْلَم أَنّ كُلَ مَن كَذَّبَه فَهُو منْ أَصْحَاب السَّعير، فَنَهَاه اللّه تعالى عَنْ هَذَا الحُزْن، « فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » (فاطر: ٨)، وَسَيَجْزيهمْ به، ولذَلك قَالَ: « إلَيْنَا مَرْجعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بمَا عَملُوا » منْ كُفْر وَشـرْك، وَمُجَـادَلَـة بالبَاطل ليُدْحضُوا به الحَقّ، وَغَيْر ذَلك ممَا عمـلُوه ﴿ الدُّنْيا، وذَلك « إنَّ اللّه عليمٌ بـذَات الصُّـدُور ٢٣ » فَـلاَ تَخْفَى عَلَيْه خَافيَةٌ.

ثُمَّ ذَكر سُبْحَانَه ما هُو فاعلٌ بهمْ ﴿ الدُّنْيا والآخرة، فَقَال: « نُمَتِّعُهُمْ قَليلاً » يَعْني أَنّ الكافرين يَتَمَتَّعُون بشَهوات الدُّنْيا مَتَاعًا قَليلاً، مَهْما طَال، لأَنّ الدُّنْيا مَهْمَا طَالَتْ لاَ نسْبَة بَيْنَها وَبَيْن الآخـرَة، لأَنّ الدُّنْيا تَنْتَهي، وَالآخـرَة لاَ تَنْتَهي، وَلذَلك قَال صلى اللّه عليه وسلم: (وَاللّه مَا الدُّنْيا ﴿ الآخــرَة إلاَّ مثْل مَـا يَجْعَل أَحَـدُكُـمْ إصْبَعَه هَذه- وَأَشَار يَحْيَى بالسَّبَّابَة- ﴿ اليَمّ فَلْيَنْظُرْ بم يَرْجع) (صحيح مسلم: ٢٨٥٨)، « ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ » أَيْ نُلْجئُهُمْ « إلى عَذَاب غَليظ ٢٤ » لاَ يَسْتَطيعُون دَفْعَه، وَهُو عَذَاب النَّار، كَمَا قَال تَعَالَى: « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (البقرة: ١٢٦)، وَقَـال تَعَالَى: « لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ » (آل عمران: ١٩٦، ١٩٧)، وَقَـال تَـعَـالَى: « أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ » (الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٧).

عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضي اللّه عنه قَال: قَـال رَسُـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: ((يُؤْتَى بأَنْعَم أَهْل الدُّنْيَا منْ أَهْل النَّار يَوْم القيَامَة، فَيُصْبَغ ﴿ النَّار صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَال لَهُ: يَا ابْن آدَمَ! هَلْ رَأَيْت خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرّ بك نَعيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللّه يَا رَبِّ)) (صحيح مسلم ٢٨٠٧).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الكوربوقراطية والعولمة الاقتصادية

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فيلمس المهتمون بالظواهر الاقتصادية صلةً ظاهرةً بين الحكم والمال؛ فهناك التقاء دائم ومستمر بين الحاكم بسلطانه ونفوذه، وبين رأس المال بسطوته؛ فالسلطان لا بد أن تكون له بطانة من أصحاب الأموال يبذلون أموالهم في توطيد دعائم مُلكه، ويُرضونه بأموالهم فيجعلونها عونًا له على ما يريد، وبغير أموالهم لا يستقر له ملك ولا يهنأ بسلطان، وأصحاب الأموال يريدون المكانة والحظوة عند السلطان؛ لما يمثله قربهم منه من أمْن من بطشه وتنكيله، ولما يجلبه عليهم هذا القرب من قناطير مقنطرة من الأموال، فضلاً عن يقينهم بأن غضب السلطان مؤذن بزوال ثرواتهم لتصبح أثرًا بعد عين.

التزاوج بين رأس المال والحكم:

وقد عرفت هذه العلاقة بين الحكم والمال بتزاوج رأس المال والسلطة، وهي علاقة تضرب بجذور عميقة في القدم، فالمولى -سبحانه وتعالى- يُخبرنا عن هذه العلاقة بين فرعون وقارون، وهو أمرٌ يدعو إلى التعجب فقارون من بني إسرائيل الذين يستعبدهم فرعون ويسومهم سوء العذاب، ولكنَّ قارون استثناء من ذلك فقد زادت ثروته وتعاظمت بقربه من فرعون؛ ويخبرنا المولى سبحانه عن ذلك بقوله عز وجل: {إنَّ قارُون كان منْ قوْم مُوسى فبغى عليْهمْ وآتيْناهُ من الْكُنُوز ما إنَّ مفاتحهُ لتنُوءُ بالْعُصْبة أُولي الْقُوّة إذْ قال لهُ قوْمُهُ لا تفْرحْ إنَّ الله لا يُحبُّ الْفرحين} (سورة القصص: ٧٦). ولك أن تتخيل كم بلغت ثروة قارون من حجم مفاتيحها؛ فإذا كانت مفاتيح الكنوز لا تستطيع الجماعة الأشداء ذات القوة من الرجال أن تحملها، فكيف بحجم هذه الكنوز؟ وإذا كان الكنز جزءًا مدخرًا من جميع المال؛ فالكنز هو المال المدخر الزائد عن حاجة الإنسان والتي لا يحتاج إليها لا في يومه ولا في غده؛ فكيف بحجم أمواله وثروته؟!

ورغم أن قارون كان من بني إسرائيل، إلا أنه كان من أولياء فرعون المقربين، وكان من أشد المعاندين لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وسخَّر ثرواته للصد عن سبيل الله ومعاداة رسوله؛ ولذا يخبرنا المولى سبحانه أن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام قد أرسل إلى السلطان الغاشم (فرعون) وقوته الباطشة (وزيره هامان) وخزائنه الملأى (قارون)، فيقول تعالى: {ولقدْ أرْسلْنا مُوسى بآياتنا وسُلْطانٍ مُبينٍ (٢٣) إلى فرْعوْن وهامان وقارُون فقالُوا ساحرٌ كذّابٌ (٢٤) فلمّا جاءهُمْ بالْحقّ منْ عنْدنا قالُوا اقْتُلُوا أبْناء الّذين آمنُوا معهُ واسْتحْيُوا نساءهُمْ وما كيْدُ الْكافرين إلّا في ضلالٍ} (سورة غافر: ٢٥).

في قوله عز وجل: {وقارُون وفرْعوْن وهامان ولقدْ جاءهُمْ مُوسى بالْبيّنات فاسْتكْبرُوا في الْأرْض وما كانُوا سابقين} (سورة العنكبوت: ٣٩). فقد جمع سبحانه وتعالى بين ثلاثتهم

-في الآية السابقة- والأمر العجيب أن فرعون الذي يدعي كذبًا وبهتانًا الألوهية يحتاج إلى رأي ومشورة هامان، وإلى أموال قارون!!

ومن ثم فالعلاقة بين الحكام وأصحاب رؤوس الأموال تليدة، فقد تصبح في أحسن حال إلى حد الشراكة الحقيقية؛ بل ويصبح أصحاب رؤوس الأموال الشركاء الظاهرين في شركة محاصة (مستترة) تجمع بينهم وبين السلاطين؛ وقد حدث ذلك في أوروبا حينما كانت النظرة للتجارة على أنها أمر لا يليق بالنبلاء والأمراء ورجال الدين، فكان هؤلاء يدفعون أموالهم إلى التجار يثمّرونها لهم لتتعاظم وتزداد، ومن هنا نشأت شركة المحاصة المستترة، كما عرف ذلك التعاون الوثيق بين السلطة وبين المال في الحملات الصليبية الاستعمارية (التي تعرف زورًا بالكشوف الجغرافية).

انفراد السلطان بالحكم وبالمال:

ولكن العلاقة بين الحكام وأصحاب رؤوس الأموال لا تسير دومًا على نمط واحد أو وفاق دائم، فقد يحدث أن يتغول السلطان على أصحاب رؤوس الأموال فتُسلب أموالهم وتُؤمّم، وتُطلق عليهم الألقاب المشينة التي تقترن بهم؛ مثل: «أغنياء الحرب»، و«القطط السمان». وقد يحدث أن يقوم السلاطين بأنفسهم باقتحام مجال التجارة، وقد لاحظ ذلك عالم الاقتصاد (ومؤسس علم الاجتماع) ابن خلدون في زمنه، فكتب في مقدمته عن ذلك مؤكدًا الخطأ الفادح الذي يقع فيه السلطان حينما يترك أمانة الحكم ليشتغل عنه بالتجارة، فهو بذلك لا ينظر في مصالح الرعية، وإنما في ديوان تجارته، ثم في نفس الوقت هو يضيق على رعيته في أرزاقهم؛ إذ لا سبيل لهم إلى منافسته؛ فيؤكد ابن خلدون بذلك على أن اشتغال السلطان بالتجارة مشغلة للسلطان ومفسدة للرعية.

وقد خصص ابن خلدون الفصل الثاني والأربعين من المقدمة، والذي تحدث فيه عن أهمية العدل لتحقيق التنمية الاقتصادية، وأكد على ضرورة عدم تدخل السلطان في النشاط الاقتصادي، وأنه لا يستقيم مع مصالح الرعية، وأنه يدخل عليهم الضرر من وجوه متعددة؛ لعدم التكافؤ بين رأس مال السلطان، وسيؤدي ذلك إلى أن ينقبض الفلاحون عن الفلاحة، ويقعد التجار عن التجارة، فيؤدي ذلك إلى ذهاب الجباية جملةً، فيضر ذلك بخزائن الدولة.

وبيّن ابن خلدون أن مفهوم العدل في أهل الأموال يكون بتأمين أموال الناس وعدم مصادرتها (أي باحترام الملكية الفردية)، وإفساح المجال أمامهم للنشاط التجاري والزراعي والإنتاج (أي تحقيق الحرية الاقتصادية)، وبمراقبة السلطان لأنصاره؛ ومنع حاشيته من مضايقة أصحاب النشاط الاقتصادي (أي بمكافحة الفساد)، فكأنما يريد ابن خلدون أن يُنبّه إلى القاعدة الاقتصادية الحديثة التي فحواها أنّ رأس المال شديد التأثر فينشط حيث العدل والأمن والاستقرار، ويفرّ ويهرب ويختفي حيث الظُلم والفساد والفوضى والمصادرات.

ويؤكد عالم آخر على ما قرره ابن خلدون؛ وهو المقريزي الذي عاش في العصر المملوكي، فشاهد وسمع عن الكثير من المجاعات التي ألّت بمصر فأراد النظر والبحث عن أسبابها، وخاصةً التي عايشها في زمنه فألف كتابه «إغاثة الأمة بكشف الغمة» لهذا الغرض، والذي انتهى فيه إلى أن سبب المجاعات ناتج عن سوء تدبير الحُكّام وعدم نظرهم في مصالح العباد، وجعلوا همّهم جَنْي الأموال والإكثار منها، والاحتفاظ بالسلطة والحكم بمختلف السبل والوسائل، وعلى ذلك يحمل المقريزي مسؤولية هذه المجاعات للحكام الغافلين عن مصالح العباد، والغارقين في ملذات الدنيا وعبثها، ويُبيّن المقريزي أن احتكار سلاطين المماليك لبعض السلع أدى إلى ارتفاع أسعارها، وأن إسناد الولايات السلطانية والدينية بالرشوة هو من أهم أسباب انتشار المجاعات

لتولي الفاسدين مقاليد البلاد وانصرافهم عن تحقيق مصالح الخلق إلى الاستيلاء بغير وجه حق على أموال العباد، حتى ضجَّ الناس من شدة المغارم وضاقوا من كثرة المظالم.

تغوُّل المال على السلطة:

ولكن العلاقة بين الحكام وأصحاب رؤوس الأموال لا تكون الغلبة فيها للسلطان، وإنما يحدث أن تتسلط الأموال على السلطة لتعبث بها كيف تشاء، كما يحدث أن يتجمع أصحاب الأموال معًا في تكتلات شديدة الضخامة لا تعرف الحدود الجغرافية، لتعبث بكل الحكومات في سائر الأموال لتجعل من أقطار الدنيا أرضًا ذلولًا موطئة لتحقيق مصالحها.

وهذه الظاهرة ظهرت مع تضخم رؤوس أموال شركات المساهمة على نحو جاوز ميزانيات عدة دول مجتمعة، لتصبح الشركة أقوى من الدولة، ولكن لم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما تكاتفت هذه الشركات معًا في تكتلات شديدة الضخامة، تجاوزت الحدود السياسية والقدرات الاقتصادية، لتتحكم في الدول!! ليس في اقتصاداتها فقط، بل وفي سياساتها، فهي التي تحدد شخص الحاكم، بل وهي التي تحدد سياسات الحكام، وذلك ما يعرف بالكربوقراطية.

شركات المساهمة دويلات داخل الدول:

ترجع نشأة الشركات المساهمة إلى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي حينما أنشئ بنك «سان جورج» واقترضت منه حكومة جمهورية جنوة نظير مرتبات دائمة للمقرضين في صورة سندات قابلة للتداول، ولعجزها عن السداد اتفقت مع الدائنين على منحهم احتكار جباية بعض الضرائب، وتكونت شركة مساهمة باسم «سان جورج» من الدائنين لتنظم عملية الجباية واقتسام الأرباح، وحصص الشركاء فيها هي المرتبات القديمة والتي قسمت بينهم في شكل أوراق مالية يتم التنازل عنها للغير وتنتقل بالوفاة إلى الورثة.

ومع انتشار السياسة الاستعمارية، والرغبة المحمومة في استنزاف ثروات الشعوب المستعمرة، وخاصةً في ظل المذهب الاقتصادي المركنتيلي الذي ساد في أوروبا والذي كان يرى أن زيادة قوة ثروة الدولة النقدية يكون بزيادة كمية المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة، فيرى أتباع المذهب المركنتيلي (أو مذهب التجاريين) أن قوة المجتمع تكمن في ما يملك من ذهب وفضة ومعادن ثمينة، ولا علاقة لقوة المجتمع بقدرته على إنتاج السلع والخدمات الأخرى، فعملوا على نقل ثروات الشعوب المستعمرة إلى بلادهم، وتكونت في ظل هذا المذهب الشركات المساهمة الكبرى مثل: شركة الهند الشرقية، والشركة الملكية الإفريقية لتجارة الرقيق في إفريقيا، وشركة كندا الفرنسية وغيرها، واعتمدت هذه الشركات في تجميع رؤوس أموالها علي إصدار صكوك قابلة للتداول عُرفت هذه الصكوك فيما بعد باسم الأسهم، ومنها جاءت تسمية هذه الشركات بشركات المساهمة.

وكانت إنجلترا في طليعة الأمم التي أسست فيها شركات الأسهم، فأنشأت شركة الهند الشرقية بإذن من الملكة إليزابيث الأولى والمعروفة باسم اليصابات (وتعني في اللغة العبرية المكرسة للرب، وهو في العهد الجديد اسم زوجة نبي الله زكريا وهي أم يحيى، والذي يسمى عندهم يوحنا المعمدان).

وكان هدف تلك الشركة هو استغلال الأرض البِكر في الهند، ونجحت هذه الشركة في ذلك نجاحًا عظيمًا واقتفت الدول الأوربية أثر إنجلترا فأنشأت هولندا في سنة ١٦٠٢م شركة الهند الشرقية، وأنشأت فرنسا شركة الهند الشرقية في سنة ١٦٦٤م؛ وما زال النزاع والقتال بينهم، حتى انفردت شركة الهند الشرقية الإنجليزية بحكم الهند، وكان لها جيش خاصّ بها من الإنجليز والهنود، وكانت هذه الشركة بمثابة دولة عظمى، وأصبحت تلك الشركات كدويلات؛ إذ كان لها صك العملة وتكوين الجيوش.

ولكن لتغول الشركات المساهمة ولكونها دولة داخل الدولة من جهة، ومن جهة أخرى للمثالب التي نجمت عنها سواء بإنشاء شركات وهمية أم بالمضاربات العينية على أسهم هذه الشركات، فقد تعرضت في القرن الثامن عشر لهجوم شرس من بعض الذين نادوا بحرية التجارة في القرن الثامن عشر لهذه الشركات، وهو ما أدى إلى أن أصدرت فرنسا مرسومًا بإلغاء شركات المساهمة وتحريمها مستقبلاً تحت أيّ شكل من الأشكال، كما أصدرت إنجلترا قانونًا يحرم عملية طرح أسهم هذه الشركات إلا بإذن من البرلمان أو بمرسوم ملكي، ولذا عرف هذا العصر بعصر سحب الثقة من شركات المساهمة.

ولكن لم يدم ذلك طويلاً؛ فقد انتشرت الشركات المساهمة في أوروبا حتى أصبحت من سمات النظام الرأسمالي، وتعاظمت هذه الشركات إلى حد غير مسبوق حتى تجاوزت الحدود السياسية، وعبرت القارات، لتظهر الشركات العابرة للقارات أو الشركات متعددة الجنسيات. ومعها نشأت ما عرف بالكربوقراطية.

الشركات متعددة الجنسيات والكربوقراطية:

ظهر مصطلح الكربوقراطية (Corporatocracy) في ثلاثينيات القرن العشرين، ويقصد به التزاوج الذي حدث بين السلطة ممثلة في الحكومات الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة؛ وبين المال ممثلاً في الشركات العملاقة بالغة الضخامة متعددة الجنسيات، هذه الشركات التي ابتلعت الحكومات وسيطرت عليها، مستغلة أموالها لتمويل الحملات الانتخابية وترجيح كفة مرشح على آخر، ثم السيطرة على الحكومات وتوجيه سياساتها في منظومة هذه الشركات للسيطرة على اقتصاد العالم.

ولذا يُقصد بالكربوقراطية سيطرة منظومة الشركات الكبرى على اقتصاد العالم، ولذا قيل هي نظام اقتصادي سياسي تسيطر عليه الشركات، أو إن شئت فقل هي شكل حديث من الحكومة يُدار من قبل الشركات الكبيرة لتحقيق مصالح الشركات. ويقول عالم الاجتماع الأمريكي سي رايت ميلز في كتابه «نخبة السلطة» عن هذه الشركات: إنهم أفراد أثرياء يسيطرون على عملية تحديد السياسات الاقتصادية والسياسية للمجتمع. ويقول معبرًا عن علاقة هذه الشركات بالحكومة: «إن الحكومة الأمريكية كانت تتصرف تمامًا كما وصف كارل ماركس الدول الرأسمالية: أنها تتظاهر بالحياد للحفاظ على النظام، ولكنها في الحقيقة تخدم مصالح الأغنياء».

ويظهر ذلك حينما نرى المعونة الأمريكية تُخصّص لأغراض محددة من خلالها تسترد الشركات الأمريكية الكبرى هذه المعونة مرة أخرى، وفي حال مساهمة المنظمات الدولية في إقراض الدول النامية فإن الشركات الكبرى هي التي تُعدّ الدراسات التي من خلالها تقوم بتطوير البنية الأساسية وبناء محطات توليد الكهرباء والطرق والموانئ والمطارات والمدن الصناعية، وتقدم هذه الدراسات إلى المنظمات الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، بزعم مساعدة هذه الدول في تحقيق هذه المشاريع، أو الخروج من أزماتها المالية والاقتصادية وتقديم القروض الملائمة لذلك، ولكن الملاحظ أنه يُشترط أن تقوم هذه الشركات من خلال مكاتبها الهندسية، وشركات المقاولات التابعة لها لتقوم بتنفيذ هذه المشاريع، بل في حال القروض لا بد أن تكون شركات التصنيف الائتماني التابعة لهذه الشركات هي التي تقوم بتحديد مقدار الملاءة المالية لهذه الدول المقترضة.

وهذه الشركات لا تريد للدول النامية أن تحقق نهضة أو اكتفاءً في أي مجال؛ لأنها تريدها أسواقًا دائمة لها، ولذلك لا نعجب حينما قامت إحدى الدول المستوردة للقمح بخلطه بمحصول الذرة لتقليل استيرادها من القمح فإذا بمندوبي هذه الشركات يقدمون

إلى وزير التموين بهذه الدولة لإثنائه بشتى السبل عن هذه الخطوة؛ دون نظر إلى مصلحة هذه الدول النامية والشعوب الفقيرة.

وتسعى هذه الشركات إلى إغراق الدول في الديون المرهقة، حتى تتعثر وتعجز عن سدادها؛ لأن ذلك هو السبيل إلى تحقيق هدفها، فحينما تعجز الدول عن سداد ديونها تبدأ سلسلة من المفاوضات المضنية لتستدين لسداد الفوائد مع تأجيل أجل قضاء أصل الدين، ومن خلال مفاوضات تبدأ سياسات التكييف الهيكلي ودمج الدول في اقتصاد السوق واخضاعها للعولمة بكافة صورها (سياسية واقتصادية واجتماعية)، فتُفرض على الدول المدينة شروط الدائن سواء الاقتصادية أو السياسية أو حتى الثقافية والاجتماعية.

فقد استطاعت الشركات عابرة القارات أن تسيطر على المنظمات الدولية، وأن تحوِّلها إلى أداة لتحقيق العولمة الاقتصادية؛ من خلال فرض اقتصاد السوق على هذه الدول، وتطويعها لتصبح في إطار نظام اقتصادي محدد ترسم ملامحه هذه الشركات، والتي تُستخدم في سبيل ذلك العديد من المصطلحات التي تحقق أهدافهم مثل: الحوكمة الرشيدة، تحرير التجارة، حقوق المستهلك، الخصخصة للصحة والتعليم والمياه والكهرباء.... إلخ، والهدف من ذلك هو سلب أصول هذه الدول تحت هذه المسميات التي أحدثوها، لتحقق أسوء عمليات النهب الاقتصادي التي لا تقل سوءًا عن نهب ثروات الشعوب وإفقارها تحت مسمى الاستعمار، وإنما هو استخراب وليس استعمارًا بحال من الأحوال.

ولذلك لا عجب أن يفرض الحصار على ليبيا لمنع الطيران الحربي من ضرب الشعب الليبي الثائر على القذافي، ويبرر هذا بالحفاظ على الشعب الليبي، ولكن إذا بطائراتهم تدكّ البنية الأساسية للدولة الليبية بأكملها، بل وتضرب أنابيب المياه الضخمة التي تنقل المياه في مشروع النهر العظيم، وذلك حتى تعمل هذه الشركات في إعمار ليبيا، وإذا علمنا أن مليارات الدولارات كانت تذهب إلى هذه الشركات (وخاصة في فرنسا) في زجاجات المياه المعدنية التي يستوردها الشعب الليبي لعرف السبب وراء تدمير أنابيب مياه مشروع النهر العظيم.

ولا عجب أن نجد وراء العدوان الأمريكي السافر على العراق خمس شركات، منها من شاركت في مشروع النفط مقابل الغذاء، ومنها من باعت السلاح الذي ضُرب به العراق، ومنها مَن استولت على نفط العراق، ومنها من قامت بإعادة إعمار العراق بعد تدميره؛ لعلمنا يقينًا أن هذه الشركات هي التي تصنع سياسات الحكومات الكبرى.

ولا عجب مما يحدث في لبنان من تدمير اقتصادها والقضاء على نظامها المصرفي الذي كان يطلق عليه سويسرا الشرق ليس بخافٍ عن الأذهان؛ وذلك لتحويلها إلى دويلات طائفية لحاجة في نفوسهم.

ولا عجب أيضًا مما يحدث من تناقض بين موقف الحكومات الأمريكية والغربية الداعمة للعدوان الصهيوني الغاشم على أهل غزة، والإبادة التي يتعرضون لها، وبين موقف شعوبهم التي ثارت ضد مواقف حكوماتها رفضًا لهذا العدوان وتنديدًا به، دون أن يحرك ذلك ساكنًا؛ في تأكيد على أن هذه الحكومات لا تملك من أمرها شيئًا؛ لأنها مكبَّلة بقيود هذه الشركات التي لا يَعنيها سوى الحديث عن إعادة إعمار غزة لتنال النصيب الأكبر في ذلك (من تبرعات الدول المانحة لإعادة الإعمار)، وهم في لا يعنيهم في قليل أو كثير نحوًا من ثلاثين ألفًا من القتلى، وعشرات الآلاف من الجرحى والمصابين، والآلاف الذين فقدوا ذويهم ودورهم وصاروا بغير مأوى، أسأل الله أن يرد عنهم كيد عدوهم، وأن يكلأهم كلاءة الوليد الذي لا يدري ما يُراد به ولا ما يريد، وأن يجعل لهم مما هم فيه مخرجًا وفرجًا قريبًا، اللهم آمين.

وللحديث تتمة -إن شاء الله تعالى- نفصل فيها ما أجملناه.

ما أسعد الإنسان بصحبة القرآن!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد، فمنَ أعظم الصحبة وأكرمها وأعزها صحبةُ القرآن الكريم، وذلك أن صاحب القرآن في مقام رفيع، وحصن منيع، وتجارة رابحة، ورتبة عالية.

أخرج أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يُقالُ لصاحب القُرآن: اقْرأ، وارْتَق، ورتّل كما كُنت تُرتّلُ في الدُّنيا، فإنّ منْزلك عنْد آخر آية تقرؤها "

إعداد أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن بالأزهر

وأخرج أحمد في مسنده (حديث٢٢٩٥٠) من حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديثه: " وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا"(وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٨٢٩)).

فما أسعدك وما أكرمك إذا صحبت القرآن حقَّ الصحبة!

إن صحبة القرآن تقتضي منك لزوم القرآن والعمل به والتخلق بأخلاقه، والاهتداء به اعتقادا وعبادة وسلوكا وأخلاقا.

وما أجمل وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت لمن سألها: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»(صحيح مسلم حديث٧٤٦).

وإذا كانت الصحبة لا تقال في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته كما قال الراغب في (مفرداته صـ٤٧٥) فإنَّ أولى من يستحقُ ذلك القرآن الكريم كتابُ رب العالمين رسالة الله إلى

خلقه، وهداه إليهم.

ما أحوج الإنسان إلى أن يعلم أنه المقصود بهذا القرآن؛ ليعرف الحق ويعتقده، ويتعلم الخير ويعمل به.

ألا ترى أن أولى آيات القرآن نزولا- وهي الآيات الخمس من صدر سورة العلق- ذكر فيها الإنسان مرتين، قال تعالى:" اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم" وهذا فيه دلالة على أن الإنسان هو المقصود بهذا القرآن، ومن أجله أنزل الله القرآن.

أيها المسلمون الكرام تأملوا ما جاء في حديث بريدة رضي الله عنه المذكور آنفا حين يكلم القرآن صاحبه:" أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ".

إن القرآن دفع صاحبه الإنسان إلى علو الهمة في الطاعة والسبق في العبادة فحمله على الصوم في أيام الصيف القائظ والحر الشديد، وأيقظه بالليل للصلاة والناس نيام.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون "(رواه أحمد في الزهد وفي سنده انقطاع).

إذا أردت أن تحظى بشرف هذه الصحبة فاعمل بالقرآن، ولا ترفضه، ولا تغفل عنه وهذا من النصيحة للقرآن كما أشرت إليه في مقالة سابقة.

صحبة القرآن لا تعني أن تكثر من قراءته ثم تخالفه، ولا من ترداده ثم تعارضه؛ لأنك إن فعلت ذلك فقد جعلت القرآن خصمك الذي تُضرُّ به لا صاحبك الذي تنتفع به، وصار حجة عليك لا لك قال صلى الله عليه وسلم: «والقرآن حجة لك أو عليك»(صحيح مسلم حديث٢٢٣).

وهذه القراءة للقرآن في الحقيقة لا يتحقق فيها معنى التلاوة التي وعد الله أصحابها بالتجارة الرابحة التي لن تكسد ولن تفسد فقال عزَّ وجلَّ: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ» (سورة فاطر:٢٩) لأنها التجارة المذكورة في الحديث في حق من ظمئ بالنهار وسهر الليل عملا بحق القرآن: «وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ» (حسنه البغوي وابن كثير وغيرهما).

إن التلاوة كما تدل على معنى القراءة فإنها تدل على معنى الاتباع ومن ذلك قوله تعالى: «والقمر إذا تلاها» (سورة الشمس:٢) يعني الشمس إذا تبعها القمر، وقد ذهب كثير من السلف كعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي رزين وقيس بن سعد ومجاهد وعطاء وغيرهم إلى أن معنى قوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» «(سورة البقرة:١٢١) أي: يتبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله وقد أخرج الطبري في تفسيره هذه الآثار ونسبها لأصحابها ثم قال:" والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حق اتباعه، من قول القائل: ما زلت أتلو أثره، إذا اتبع أثره؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله. (ينظر: تفسير الطبري(٢/ ٤٩٢))، ونسبه الماوردي في النكت والعيون(١/١٨٢) إلى الجمهور.

والواقع أن بعض السلف ممن ذكرت أسماءهم وتبعهم جماعة من المفسرين قد فسروا التلاوة أيضا بمعنييها وقالوا: المعنى: يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويقرؤونه كما أنزل، ولا يتأولون منه شيئا على غير تأويله.

وقد جاء التصريح بوجوب اتباع القرآن الكريم الوحي المنزل من لدن رب العالمين فقال تعالى: «اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» (سورة الأنعام:١٠٦)، وقال تعالى:«اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» (سورة الأعراف:٣)، وقد رتب الله سبحانه الفلاح على هذا الاتباع فقال:"«فالذين

آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون» (سورة الأعراف:١٥٧).

إن صحبة القرآن تعني اتباعه واقتفاء أثره والعمل به والتحاكم إليه، والعيش في رحابه، والسير وفق بصائره وهداياته.

وقد أدرك الصحب الكرام ذلك، فلم يفصلوا تعلم القرآن عن العمل به، وإنما جمعوا بين الأمرين، فتعلموا العمل والعمل جميعا.

أخرج الطبري في تفسيره (٧٤/١)بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»، وأخرج عن أبي عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين، كانوا يقرؤننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا».

وهذه هي صحبة القرآن حقًا، والنصيحة له صدقا نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يجعلنا من أهل القرآن العاملين به.

أيها الكرام إذا كان المؤمن مرآة أخيه فإنَّ صاحبك- كما ترجو- وهو القرآن الكريم مرآة صافية تبصر بها عيوبك وتتعرف بها على نفسك، وما فيها من فجور وتقوى وقبيح وحسن؛ فاعرض نفسك على القرآن وائتمر بأمره، وانته عن زجره، وتحاكمْ إليه، وقس نفسك بميزانه.

قال أبو بكر الآجري: " فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حسُن من فعله وما قبح منه، فما حذَّره مولاه حذره، وما خوَّفه من عقابه خافه، وما رغَّبه فيه مولاه رغب فيه ورجاه" (أخلاق حملة القرآن للآجري صـ٦٢).

ورحم الله عبدا وقافا عند كتاب الله تعالى لا يتجاوزه، ولا يستبدل به غيره.

ودونك هذا الموقف النبيل من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ» (الأعراف: ١٩٩)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»(أخرجه البخاري في صحيحه حديث٤٦٤٢).

إننا في واقع الأمر بحاجة ملحة وضرورة ماسة إلى جيل يتربى على القرآن علما وعملا؛ فإذا حفظ قدرا يسيرا من القرآن أتبعه بفهم القرآن وتدبره والعمل به.

ولأن ينشأ بيننا قوم يفهمون القرآن ويعملون به- وإن قلَّ مقدار حفظهم لآيات القرآن وسوره- خير من قوم لا يعرفون عن القرآن إلا إقامة حروفه، ولا صلة لهم بفهمه وتدبره، فضلا عن العمل به والتحاكم إليه، وهم أيضا خير من قوم استكثروا حجة الله عليهم، فعلموا كثيرا من القرآن حفظا وفهما لكنهم تركوا اتباعه والعمل به.

ولله درُّ الحسن البصري حين قال:" إنَّ هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من قبل أوّله، وقال الله سبحانه وتعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته» (ص: ٢٩)، وما تدبر آياته إلا اتباعه، والله يعلم، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى له القرآن في خلق، ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس، والله ما هؤلاء بالقرّاء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كانت القراء

مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء " (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص٢٧٤، وعبد الرزاق في مصنفه(٣/٣٦٣)).

وقال القرطبي في مقدمة تفسيره(٢/١): " ألا وإن الحجة على من علمه فأغفله، أوكد منها على من قصر عنه وجهله. ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من المآثم قبيحا، ومن الجرائم فضوحًا، كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه".

وقد وردت أحاديث تبين فضل العمل بالقرآن وترتب الثواب عليه ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"

عنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الكلابيِّ قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» (أخرجه مسلم في صحيحه حديث٨٠٥).

ووردت أحاديث أخرى تذم المُقصر في العمل بالقرآن، والرافض لأحكامه كما في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه الذي قص فيه النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا رآها وأوله:

«رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي»، وساق الحديث والشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم: «فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ- أَوْ صَخْرَةٍ- فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ» ثم فسَّرا ذلك له فقالا: «وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»، وفي رواية: «أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ» (أخرجه البخاري في صحيحه برقم١٣٨٦، ٧٠٤٧).

وقد فسر رفض القرآن بوجهين ذكرهما ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين(٢/٣٨) أحدهما: رفض تلاوته حتى ينساه، والثاني: رفض العمل به.

وقد نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/٤٤٤) عن ابن هبيرة قوله: " رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف أعضائه وهو الرأس".

وحاصل الأمر: أن صحبة القرآن الكريم تقتضي من الإنسان أن يلزم القرآن في أحواله جميعها في عسره ويسره، وسره وعلنه.

وما من شك أن من صحب القرآن أحب سنة النبي عليه السلام والسلام، وعمل بها أيضًا؛ فإنها الشارحة لهذا القرآن، والمبينة له، وفيها قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"(جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه(٤٦٠٤)).

ومن صحب الكتاب والسنة فهو السعيد حقًا والمفلح صدقًا يصير وقد أدبه القرآن والسنة، يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه، ولا يرضى من نفسه أن يؤدي ما فرض الله عز وجل عليه بجهل، قد جعل العلم والفقه دليله إلى كل خير. إذا درس القرآن فبحضور فهم وعقل، همته إيقاع الفهم لما ألزمه الله عز وجل من اتباع ما أمر، والانتهاء عما نهى، ليس همته متى أختم السورة؟ همته: متى أستغني بالله عن غيره؟ متى أكون من المتقين؟ متى أكون من المحسنين؟ متى أكون من المتوكلين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟.... متى أستحيي من الله عز وجل حق الحياء؟ متى أشتغل بعيبي؟ متى أصلح ما فسد من أمري؟ متى أحاسب نفسي؟ متى أتزود ليوم معادي؟ (وهكذا فصاحب القرآن يعبد الله على بصيرة علم الحق فاعتنقه والخير فعمل به مخلصا مستقيما فيسعد في دنياه وأخراه وصدق الله إذ قال: « فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(سورة البقرة:٣٨)، وقال سبحانه: « فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى » (سورة: طه:١٢٣). والله ولي التوفيق.

باب السنة
الحلقة 2

لِقاء الله

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن عُبَادَةَ بن الصَّامت أن رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قال: «من أَحَبَّ لقاءَ اللَّه أَحَبَّ الله لقَاءَهُ وَمَنْ كرِهَ لقاءَ اللَّه كرِهَ الله لقَاءَهُ فقالت عَائشَةُ: إنا لَنَكْرَهُ المَوْتَ. قال: ليس ذاك وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّه وكَرَامَته فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إليه ممَّا أَمَامَهُ فأَحَبَّ لقَاءَ اللَّه وَأَحَبَّ الله لقَاءَهُ وان الكَافرَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بعَذَابِ اللَّه وَعُقُوبَته فَلَيْسَ أَكْرَهَ إليه ممَّا أَمَامَهُ فكَرِهَ لقَاءَ اللَّه وَكَرِهَ الله لقَاءَهُ». (متفق عليه).

وفي رواية: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فبكى القوم وقالوا يا رسول الله وأينا لا يكره الموت؟ قال لست ذلك أعني، ولكن الله تبارك وتعالى قال: «فَأَمَّا إن كان من المُقَرَّبين (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نعيم» (الواقعة: ٨٨، ٨٩)؛ فإذا كان عند ذلك أحب لقاء الله تعالى والله عز وجل للقائه أحب «وَأَمَّا إن كان من المُكَذِّبين الضالين (٩٢) فَنُزُلٌ من حميم» (الواقعة: ٩٢، ٩٣)؛ فإذا كان كذلك كره لقاء الله تعالى والله عز وجل للقائه أكره.

قال النووي: "الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل التوبة فحينئذ يكشف لكل إنسان ما هو صائر إليه، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد الله لهم، ويحب الله لقاءهم ليجزل لهم العطاء والكرامة وأهل الشقاوة يكرهونه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم.

ورد لفظ اللقاء في الكتاب والسنة بإطلاقين:

الأول: عام في لِقَاء العَدُوّ وَلِقَاء المَوالي.. وَلِقَاء المَحْبُوب وَلِقَاء المَكْرُوه

قالَ اللَّه تَعالى: «إذا لَقيتُم فِئَةً فاثْبُتوا» (الأنفال: ٤٥)، وقال «إذا لَقيتُم الذين كفروا زحفا فلا تُوَلُّوهُم الأدبار» (الأنفال: ١٥)، وَقال: «وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا» (البقرة: ١٤) لآية. وَقال «وإذْ يُريكُمُوهُم إذ التَقَيْتُم في أعيُنِكُم قليلا ويُقَلِّلُكُم في أعيُنِهِم» (الأنفال: ٤٤)، وَقالَ تعالى: «قد كان لكُم آية في فئتَيْن التَقَتا» (آل عمران: ١٣).

وَفي الصَّحيحَيْن عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قال: «لا تَتَمَنَّوْا لقَاءَ العَدُوّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ العَافيَةَ فإذا لَقيتُمُوهُم فَاصْبرُوا»، وَفي الصَّحيحَيْن: «عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَقيَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ في طَريقٍ مِنْ طُرُقِ المَدينَة وَهُوَ جُنُبٌ

فانْفَتَلَ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ؛ فَفقدهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليْه وَسَلَّمَ فلمَّا جَاءَ قَالَ: أيْنَ كُنْت؟

قَالَ يَا رَسُولَ اللَّه لَقيتَني وَأنَا جُنُبٌ فَكَرهْت أنْ أُجَالسَكَ حَتَّى أغْتَسلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّه إنَّ المُؤْمنَ لا يَنْجُسُ».

وفي صَحيح مُسْلمٍ عَنْ بريدة «أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ إذَا أمَّرَ أميرًا عَلَى جَيْشٍ أوْ سَريَّةٍ أوْصَاهُ في خَاصَّة نَفْسه بتَقْوَى اللَّه وَمَنْ مَعَهُ منَ المُسْلمينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: اُغْزُوا باسْم اللَّه في سَبيل اللَّه قَاتلُوا مَنْ كَفَرَ باللَّه اُغْزُوا وَلا تَغُلُّوا وَلا تُمَثِّلُوا وَلا تَقْتُلُوا وَليدًا وَإذَا لَقيتَ عَدُوَّكَ منَ المُشْركينَ فَادْعُهُمْ إلَى ثَلاث خصَالٍ» الحَديثَ.

وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فيمَا يَتَضَمَّنُ مُبَاشَرَةَ المُلاقي وَمُمَاسَّتَهُ مَعَ اللَّذَّة وَالألَم

كَمَا قَالَ تَعَالَى: «قُلْ إنَّ المَوْتَ الَّذي تَفرُّونَ منْهُ فَإنَّهُ مُلاقيكُمْ»، وَقَالَ: «فَوقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلكَ اليَوْم وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا»، وَقَالَ: «أُولَئكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فيهَا تَحيَّةً وَسَلامًا»، وَقَدْ قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ للأنصار «إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدي أثَرَةً فَاصْبرُوا حَتَّى تَلْقَوْني عَلَى الحَوْض».

وقال: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل؛ وَقَدْ يُقَالُ: إنَّ " اللِّقَاءَ " في مثْل هَذَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى المُشَاهَدَة كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ منْ قَبْل أنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأيْتُمُوهُ وأنتم تنظرون» آل عمران.

الثاني: معنى خاص وهو لقاء الله عز وجل يوم القيامة ورؤيته سبحانه في الجنة وهو موضوع حديثنا.

«سُئلَ شيخ الاسلام ابن تيمية رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا هُوَ لقَاءُ اللَّه سُبْحَانَهُ؟

الَّذي وَصَفَ بظَنّه الخَاشعينَ: «الَّذينَ يَظُنُّونَ أنَّهُم مُلاقُو رَبّهمْ وَأنَّهُمْ إلَيْه رَاجعُونَ» (البقرة: ١٣٣)

وَأمَرَ بعلْمه المُتَّقينَ «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أنَّكُم مُلاقُوهُ» (البقرة: ٢٢٣)

وَبَشَّرَ بالإقْرَار به عنْدَ المُصيبَة الصَّابرينَ «الَّذينَ إذَا أصَابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قَالُوا إنَّا للَّه وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ أُولَئكَ عَلَيْهمْ صَلَوَاتٌ منْ رَبّهمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئكَ هُمُ المُهْتَدُونَ» البقرة: ١٥٥- ١٥٧.

وَأشَارَ إلَى إتْيَان أجَله للرَّاجينَ: «مَنْ كَانَ يَرْجُو لقَاءَ اللَّه فَإنَّ أجَلَ اللَّه لآتٍ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ» (العنكبوت: ٥)

وَاشْتَهَرَ ذكْرُهُ في غَيْر حَديث منْ كَلام سَيّد المُرْسَلينَ كَقَوْله في دُعَائه: «لقَاؤُكَ حَقٌّ» وَقَوْلُهُ: «مَنْ أحَبَّ لقَاءَ اللَّه أحَبَّ اللَّهُ لقَاءَهُ» الحَديثَ.

فقَال: لقَاء اللَّه: فَسَّرَهُ طَائفَةٌ منَ السَّلَف وَالخَلَف بمَا يَتَضَمَّنُ المُعَايَنَةَ وَالمُشَاهَدَةَ بَعْدَ السُّلُوك وَالمَسير.

وَقَالُوا: إنَّ لقَاءَ اللَّه يَتَضَمَّنُ رُؤْيَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاحْتَجُّوا بآيَات " اللّقَاء " عَلَى مَنْ أنْكَرَ رُؤْيَةَ اللَّه في الآخرَة منَ الجهمية كَالمُعْتَزلَة وَغَيْرهمْ.

وَجَعَلُوا اللّقَاءَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَيَيْن:

أحَدُهُمَا: السَّيْرُ إلَى المَلك

وَالثَّاني: مُعَايَنَتُهُ.

قَالَ تعالى: «يَا أيُّهَا الإنْسَانُ إنَّكَ كَادحٌ إلَى رَبّكَ كَدْحًا فَمُلاقيه» (الانشقاق: ٦)؛ فَذَكَرَ أنَّهُ يَكْدَحُ إلَى اللَّه فَيُلاقيه، وَالكَدْحُ إلَيْه يَتَضَمَّنُ السُّلُوكَ وَالسَّيْرَ إلَيْه.. وَاللّقَاءُ يَعْقُبُهُمَا.

وَقَدْ جَاءَ في الكتَاب وَالسُّنَّة ألفَاظ أخري تدل على لقَاء اللَّه؛ كَقَوْله: «وَلَقَدْ جئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ» (الأنعام: ٩٤).

وَقَوْلُهُ: «وَلَوْ تَرَى إذْ وُقفُوا عَلَى رَبّهمْ قَالَ ألَيْسَ هَذَا بالحَقّ قَالُوا بَلَى وَرَبّنَا»، وَقَوْلُهُ: «وَعُرضُوا عَلَى رَبّكَ صَفًّا لَقَدْ جئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ» (الكهف:٤٨)، وَقَوْلُهُ: «إذَا جَاءَهُ لَمْ يَجدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عنْدَهُ فَوَفَّاهُ حسَابَهُ» (النور:٣٩)، وَقَوْلُهُ: «كَلَّا لا وَزَرَ ١١ إلَى رَبّكَ يَوْمَئذٍ المُسْتَقَرُّ» (القيامة:١١، ١٢)، وَقَوْلُهُ: «إنَّ إلَى رَبّكَ الرُّجْعَى» (العلق:٨)، وَقَوْلُهُ: «إنَّا للَّه وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ» (البقرة:١٥٦)، وَقَوْلُهُ: «إلَيْه المَصيرُ» (غافر:٣)، وَقَوْلُهُ: «إنَّ إلَيْنَا إيَابَهُمْ ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا حسَابَهُمْ» (الغاشية:٢٥، ٢٦).

لَكنْ هُنَا " مَسْألَةٌ " وَهيَ أنَّ القُرْآنَ قَدْ أخْبَرَ أنَّهُ يَلْقَاهُ

الكُفَّارُ وَيلْقَاهُ المؤمنُونَ.. وأخبر كذلك أن الكافرين محجوبون. وقد تنازع النَّاسُ في الكُفَّار هَلْ يرَوْنَ رَبَّهُمْ مرَّةً ثُمَّ يحتجبُ عَنْهُمْ أمْ لا يرونَهُ بحال تمسكًا بظاهر قوله تعالى: «كلا إنَّهُم عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ» (المطففين:١٥)، وَلأنَّ الرُّؤْيَةَ أعْظَمُ الكَرامَةِ وَالنَّعيمِ.. وَالكُفَّارُ لا حظَّ لَهُمْ في ذلكَ.

فقالتْ طوائفُ منْ أهل الحديث: بَلْ يرونَهُ ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ؛ كما دَلَّ على ذلكَ الأحاديثُ الصَّحيحةُ في الرؤية منْ حديث أبي سَعيدٍ وأبي هُرَيْرَةَ وَغيرهما مَعَ مُوافقةِ ظاهر القرآن. قالُوا: وقَوْلُهُ: «لَمَحْجُوبُونَ» (المطففين:١٥) يُشعرُ بأنَّهُمْ عايَنُوا ثُمَّ حُجِبُوا وَدليلُ ذلكَ قوْلُهُ: «إنَّهُم عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ» (المطففين:١٥) فعُلمَ أنَّ الحَجْبَ كانَ يومئذ.

فيُشعرُ بأنَّهُ يختصُّ بذلكَ اليوْمِ وذلكَ إنَّما هُوَ في الحَجْبِ بعْدَ الرُّؤْيَةِ.

فأمَّا المَنْعُ الدَّائمُ منَ الرُّؤْيَةِ فلا يَزالُ في الدُّنْيا والآخرَة.

قالُوا: وَرُؤْيَةُ الكُفَّار لَيْسَتْ كَرامَةً ولا نعيمًا إذْ " اللّقاءُ " يَنْقَسمُ إلى لقاءٍ على وَجْه الإكْرام ولقاءٍ على وَجْه العَذاب فهكذا الرُّؤْيَةُ الّتي يَتَضَمَّنُها اللّقاءُ.

والظاهر أنهم يلقونه عند الحساب لكنهم لا يرونه في هذا اللقاء وانما يراه المؤمنون بأبصارهم في الجنة في يوم المزيد.

ومِمَّا احتجوا به ما رَوى مُسْلمٌ وغيْرُه قال: «قالوا: يا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرى ربَّنا يَوْمَ القيامَة؟ قال: هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَة الشَّمْسِ لَيْسَتْ في سَحابَةٍ؟ قالوا: لا. قال: وَالَّذي نَفْسي بيَده لا تُضارُّونَ في رُؤْيَة رَبِّكُمْ إلاَّ كما تُضارُّونَ في رُؤْيَة أحدهما.

وَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ لعَديِّ بْن حاتم: ما منكم منْ أحد إلاَّ سَيُكَلِّمُه رَبُّه ليس بينه وبينه تَرْجُمان فينظرُ أيمنَ منه فلا يرَى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأم منه فلا يرى إلاَّ ما قدَّم، وينظرُ بينَ يديه فلا يرى إلاَّ النَّار تلقاءَ وجهه فاتَّقُوا النَّار ولو بشقِّ تمرة، فمَنْ لم يجدْ فبكلمة طيِّبة. رواه البخاري.

وَفي حديث أبي سَعيد وَأبي هُرَيْرَةَ «أنَّهُ يَتَجَلَّى لَهُمْ في القيامَة مَرَّةً للمُؤْمنينَ وَالمُنافقينَ بَعْدَ ما تجلَّى لهُمْ أوَّلَ مَرَّة ويَسْجُدُ المُؤْمنُونَ دُونَ المُنافقينَ»، أمَّا الجهمية منَ المُعتزلَة وَغيْرهمْ فيَمْتَنعُ عَلى أصْلهمْ لقاءُ اللّه؛ لأنَّهُ يَمْتَنعُ عنْدَهُمْ رُؤْيَةُ اللّه في الدُّنْيا وَالآخرَة فخالفُوا بذلكَ ما تواتَرَتْ به السُّنَنُ عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ. وَما اتَّفَقَ عَلَيْه الصَّحابَةُ وَأئمَّةُ الإسْلام منْ أنَّ المُؤْمنينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ في الآخرَة في الجنة (مجموع الفتاوى:٦/٤٦١-٤٦٩ بتصريف يسير).

المؤمنون يرجون لقاء الله ويطمعون في نيل رضاه:

قال الله تعالى: «مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (العنكبوت: ٥)، وقال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

والعمل الصالح هو الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب: «وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠) أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى.

والكافرون لا يرجون لقاء الله ولا يؤمنون به:

«إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ» (يونس: ٧).

لقاء الله راحة للمؤمن من تعب الدنيا وهمومها:

قال الله تعالى: «ففروا إلى الله»؛ وقال رسول الله وقد مرت به جنازة: مستريح أو مستراح منه

قال الحسن: والذي نفسي بيده ما من مؤمن إلا وقد أصبح مهموما محزونا ففروا إلى ربكم وافزعوا اليه فانه ليس لمؤمن راحة دون لقائه.

راجع مقالنا: الشوق الى لقاء الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خُلق العزة

إعداد م/محمد ياسين بدر حسين النجار

الحمد لله وحده... والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فما يزال حديثنا عن أخلاق ديننا... وحديثنا اليوم عن خلق (العزة)؛ يقول الفاروق عمر- رضي الله عنه-: (نحنُ قوم أعزّنا الله بالإسلام، ومتى ابتغينا غير الإسلام دينًا أذلنا الله)؛ فالمسلم عزيزٌ بدينه، يذودُ عنه ولو كلفه الأمر التضحية بحياته.

والله تبارك وتعالى وحده الذي يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، يقول- تعالى-: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) آل عمران: ٢٦. وقال سبحان: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) فاطر: ١٠.

يوقن المسلم بأن كل من تكبر بعد الله فهو صغير، وأن كل متعاظم بعد الله فهو حقير، فالمؤذن يكرر (الله أكبر)، والمصلي يركع بـ(سبحان ربي العظيم) ويسجد بـ(سبحان ربي الأعلى).

فقدت الأمة عزتها في هذه الأيام بسبب كثرة الذنوب والمعاصي، قال تعالى: « لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ » يونس:(٢٦-٢٧).

يعيش المسلمون في ذلة ومهانة بسبب حب الدنيا وكراهية الموت، قال صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها. قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت" رواه أحمد وأبو داود.

استهان بنا أعداؤنا بسبب خلافاتنا وفُرقتنا، قال تعالى: « وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» الأنفال:٤٦.

انتكسنا بسبب تركنا الجهاد في سبيل الله، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ». رواه أَبُو دَاوُد وصححه الألباني.

أذلنا الله عز وجل، بسبب تخاذلنا عن نصرة المظلوم، قال رسول الله- عليه الصلاة والسلام-: "ما من امرئٍ يخذل امرأ مسلمًا عند موطن تُنتهَك فيه حُرمته، ويُنتقَص فيه من عِرضه، إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نُصرته، وما من امرئٍ ينصر امرأ مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته إلاَّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته)) (رواه أحمد وحسنه الألباني).

ولكي تستعيد الأمة عزتها ينبغي أن تطلب العزة من رب العزة وحده لا شريك له، « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» (فاطر:١٠).. « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ» (المنافقون:٨).

وأبشروا فإن نصر الله قادم.. قادم لا محالة بإذن الله، قال تعالى: « إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ» (غافر:٥١). وقال سبحانه: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ » (النور: ٥٥).

والحمد لله رب العالمين.

موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد **د. سيد عبد العال**

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فما زلنا في سياق التأمل لقول النبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ لكَعْبِ بْنِ الأشْرَف، فإنَّهُ قَدْ آذى اللهَ ورَسُولَهُ". وما زلنا نلقى أقلامًا تتباكى على كعب قديم وأكعب حديثة طال أذاها أمة الإسلام، وعلى ضوء ذلك نتجول في شوارع تاريخ المدينة زمان النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لنشاهد بعض المواقف من اليهود تجاه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لنأخذ منها ما يكشف عن صفة اليهود لهؤلاء وموقفهم من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتكون رسالة للمدافعين عن كعب بن الأشرف، وعن اليهود بصفة عامة.

لقد حاول اليهود صد الناس عن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحاولوا إيقاف هذه الدعوة وسلكوا في سبيل ذلك مسالك شتى منها: أسْئلَتُهُمُ للرَّسُولَ- صلى الله عليه وسلم- والسؤال في حد ذاته ليس مشكلة، ولكن ما الغرض من السؤال وما النتيجة بعد الإجابة على السؤال هذا ما يثير العجب؛ لأنهم كانوا يَسْألُونَ رَسُولَ الله لاَ لِيَعْرِفُوا الحَقَّ، وَإنَّمَا تَكَبُّرًا واسْتهْزَاءً، وتعجيزًا مع عَلمهم: أنه صادق ويوحى إليه؛ فما هذه المكابرة العجيبة، والحسد الأعمى، ونسوق تحت هذا المعنى عدة أخبار.

الأول: السؤال عن الروح

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ بالمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ،- (عصا مِنْ جريد النخل)- ؛ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَسْأَلُوهُ، لا يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ: " «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» (الإسراء: ٨٥)". صحيح البخاري (٧٢٩٧) ومسلم (٢٧٩٤).

وواضح أن هذا سؤال تعجيز فقولهم "سلوه عن الروح"؛ أي: اسألوه عن الروح؛ ليعجز عن الجواب عنها؛ فتثيروا حوله الشكوك والشبهات"، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه" أي لا تسألوه خشية أن يجيبكم بما هو موجود في كتابكم؛ فيخيِّب ظنكم، ويقع ما تكرهون "فقال بعضهم لنسألنه" أي والله لنسألنه مهما كانت النتائج.

وفيه فوائد:

١- وَفِيهِ التَّوَقُّفُ عَنِ الجَوَابِ بِالِاجْتِهَادِ لِمَنْ يَتَوَقَّعُ النَّصَّ.

٢- وفيه أَنَّ بَعْضَ المَعْلُومَاتِ قَدِ اسْتَأْثَرَ اللهُ بعلمها حَقِيقَةً.

٣- أن الروح غيب، وسر من أسرار الله القدسية استأثر الله بعلمه، وأودعه بعض مخلوقاته نعرف آثاره، ونجهل حقيقته، وقد وقف هذا الإنسان حسيراً أمام ذلك السر اللطيف لا يدري ما هو: ولا يعرف عنه إلا ما جاء في بعض الأخبار الصحيحة.

٤- قلة علم الإنسان وضآلته، وأن العقل البشري

لا يحيط بكل شيء. فتح الباري (٩/٣٢٣)، ومنار القاري (١/٢٢٧).

الثاني: ادعاؤهم العلم وذلك أنه لما قيل في الجواب على سؤالهم «وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»، قالوا: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة، ومَنْ أوتي التوراة، فقد أوتي خيرًا كثيرًا، قال: فأنزل الله عزّ وجل: «قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ» سورة الكهف آية (١٠٩). والحديث أخرجه أحمد (٢٣٠٩)، والسنة لابن أبي عاصم (٥٩٥) (وصححه هناك الألباني).

أي: لو كان ماءُ البحر مدادًا للقلم الذي تُكتبُ به كلماتُ ربي وحكمُه وآياتُه الدالةُ عليه «لنفد البحر» أي لفرغ البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك «ولو جئنا بمثله» أي بمثل البحر آخر، ثم آخر، وهلمّ جرًّا، بحورٌ تمدُّه ويُكتب بها، لما نفدت كلماتُ الله. تفسير ابن كثير (٥/٢٠٤).

الثالث: ادعاؤهم عداوة جبريل عليه السلام لهم:

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: حضرتْ عصابةٌ من اليهود يومًا إلى النبيّ- صلى الله عليه وسلم- ، فقالوا: يا أبا القاسم، حدّثنا عن خلالٍ نسألك عنها، لا يعلمها إلا نبيٌّ.

فقال- صلى الله عليه وسلم-: "سلوني عمّا شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمّة الله، وما أخذ يعقوبُ عليه السلامُ على بنيه، لئنْ أنا حدّثتُكم شيئًا فعرفتموه؛ لتتابعُنّي على الإسلام".

قالوا: فذلك لك.

قال: "فسلوني عمّا شئتم".

قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنها: أخبرنا عن الطعام الذي حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا عن ماء المرأة من ماء الرجل، وكيف يكون منه الذكر حتى يكون ذكرًا، وكيف تكون منه الأنثى حتى تكون أنثى، وأخبرنا كيف هذا النبيُّ في النوم، ومَن وليُّك من الملائكة؟

قال- صلى الله عليه وسلم-: "فعليكم عهدُ الله وميثاقُه لئنْ أنا حدّثتُكم لتبايعُنّي؟"

فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق.

قال- صلى الله عليه وسلم-: "أنشدُكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أنّ إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا، وطال سقمُه، فنذر لله نذرًا لئنْ شفاه الله تعالى من سقمه، ليُحرِّمنّ أحبَّ الشراب إليه، وأحبَّ الطعام إليه، وكان أحبُّ الشراب إليه ألبانَ الإبل، وأحبُّ الطعام إليه لحمانَ الإبل؟".

قالوا: اللهمّ نعم.

فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "اللهمّ اشهدْ عليهم".

قال: "فأنشدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أنّ ماء الرجل غليظ أبيض، وأنّ ماء المرأة رقيق أصفر، فأيُّهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، وإنْ علا ماءُ الرجل ماءَ المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإنْ علا ماءُ المرأة ماءَ الرجل كانت أنثى بإذن الله؟".

قالوا: اللهمّ نعم.

فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "اللهمّ اشهدْ عليهم".

قال: "فأنشدُكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أنّ هذا النبيّ تنامُ عيناه، ولا ينامُ قلبُه؟"

قالوا: اللهمّ نعم.

قال- صلى الله عليه وسلم-: "اللهمّ اشهدْ عليهم".

قالوا: أنت الآن، حدّثنا: مَن وليُّك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك.

قال: "وليّي جبريل، ولم يبعث الله عزّ وجل، نبيًا قط إلا وهو وليُّه".

قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليُّك غيرَه من الملائكة لبايعناك وصدّقناك.

قال: "فما يمنعكم أن تصدّقوه؟"

قالوا: إنّه عدوُّنا من الملائكة، فأنزل الله عزّ وجل: «قل من كان عدوًّا لجبريل فإنّه نزّله على قلبك بإذن الله» إلى آخر الآية، ونزلت: «فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ». سورة البقرة آية (٩٠). (رواه أحمد (٢٥١٤) وصححه محققوه).

فيا أمة الإسلام قوم يدعون عداوة جبريل، وفيكم من يطمع بمودتهم، وربّ العالمين قطع الأمل في هذا بقوله: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا نصير» (البقرة: ١٢٠).

الرابع: استفتاؤُهُم النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- عن حُكم الرَّجْم: رغبة في النزول على تحريفهم للتوراة:

عَنْ عَبْد الله بن عُمر رَضيَ الله عَنْهما قَال: إنَّ اليَهُودَ جَاؤوا إلى رَسُول الله- صلى الله عليه وسلم- فذكرُوا له أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وامرأةً زَنَيا. فَقَال لَهُمْ رَسُول الله- صلى الله عليه وسلم-: "مَا تَجِدُونَ في التَّوْرَاة في شَأن الرَّجْم؟".

فَقَالوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ.

قَال عَبْدُ الله بنُ سَلام- رَضي الله عنه- وهُوَ مَع رَسُول الله- صلى الله عليه وسلم-: كَذَبْتُمْ، إنَّ فيهَا الرَّجْمَ. فأتَوْا بالتَّوْرَاة فَنَشَرُوها، فَوَضَعَ أحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَة الرَّجْم، فقرأ ما قَبْلَها وَمَا بَعْدَها.

فَقَال عَبْدُ الله بنُ سَلام- رَضي الله عنه-: ارْفَعْ يَدَك فرفَعَ يَدَهُ فإذَا فيهَا آيَةُ الرَّجْم.

قَالوا: صَدَقَ يا مُحَمَّدُ، فيهَا آيَةُ الرجم، فأمَرَ بهما رَسُول الله- صلى الله عليه وسلم- فَرُجمَا. صحيح البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩).

وعن البَراء بن عَازب- رَضي الله عنه- قَال: مُرَّ عَلى رَسُول الله- صلى الله عليه وسلم- بيَهُودي مُحَمَّم- أي مُسَوَّدُ الوجه- مَجْلُود، فَدَعَاهُمْ، فَقَال: "أهكذا تجدون حدَّ الزِّنى في كتابكُمْ؟".

فقالوا: نعَمْ، قَال: فَدَعا رَجُلا مِنْ عُلمَائهمْ، فَقَال: "أنشُدُك بالله الذي أَنْزَل التَّوْرَاة على مُوسَى، أهكذا تَجِدُونَ حَدَّ الزِّنى في كتابكمْ؟". فَقَال: لا والله، ولولا أنَّك أنشَدْتَني بهذا لم أُخْبِرْك، نجدُ حدَّ الزِّنى في كتابنا الرَّجْم، ولكنَّهُ كثُر في أشرافنا، فكُنَّا إذا أخذْنا الشَّريف، تركناهُ، وإذا أخذْنا الضَّعيفَ، أقمْنا عليه الحدَّ، فقلْنا: تعالَوْا حتَّى نجعَل شيْئًا نُقيمُهُ على الشَّريف والوَضيع، فاجْتمعْنا على التَّحْميم والجلْد. فقال رَسُول الله- صلى الله عليه وسلم-: "اللهُمَّ إني أوَّلُ مَنْ أحْيَا أمْرَك إذْ أماتُوهُ". قَال: فأمَر به فرُجم.... صحيح مسلم (١٧٠٠).

قال الحافظ ابنُ كثير رحمهُ الله تعالى: فهذه أحاديثُ دالَّةٌ على أنَّ رَسُول الله- صلى الله عليه وسلم- حكَم بمُوافقة حُكم التَّوْرَاة، وليْسَ هذا من باب الإلْزام بمَا يعْتقدُون صحَّتَهُ؛ لأنَّهُمْ مَأمُورُون باتِّباع الشَّرْع المحَمَّديّ لا محَالَة، ولَكنْ هذا بوحْيٍ خاصٍّ من الله عزَّ وَجَل بذَلكَ، وسُؤالهُ إيَّاهُمْ عَنْ ذَلكَ ليُقرِّرَهُمْ على مَا بأيْديهمْ، ممَّا تراضَوْا على كتْمانه وجَحْده، وعدَم العمَل به تلكَ الدُّهُور الطَّويلة، فلمَّا اعْترفُوا به مَع عَملهمْ على خلافه، بأنَّ زَيْغَهُمْ وعنادَهُمْ وتكْذيبهُمْ لما يعْتقدُون صحَّتَهُ من الكتَاب الذي بأيْديهمْ، وعُدولهُمْ إلى تحْكيم الرَّسُول- صلى الله عليه وسلم- إنما كانَ عَنْ هَوًى منْهُمْ وشهْوَة لموافقة آرائهمْ، لا لاعْتقادهمْ صحَّة. ما يحْكُمُ به: لهذا قالوا: «إنْ أوتيتُمْ هذا»، أي: الجلد والتَّحْميم «فخُذُوهُ» أي: اقبلوهُ، «وإنْ لَم تُؤتَوْهُ فاحْذرُوا» أي: منْ قبُوله واتِّباعه. تفسير ابن كثير (٣/١١٦).

الخامس: حالهم فيما بينهم

عَن ابن عبَّاس رَضيَ الله عنْهما قَال: كَانَتْ قُرَيْظَة والنَّضير، وكانت النَّضيرُ أشْرف منْ قُرَيْظَة، قَال: وكانَ إذا قَتَل رَجُل منْ قُرَيْظَة رَجُلاً من النَّضير قُتل به، وإذا قَتَل رَجُل منَ النَّضير رَجُلاً منْ قُرَيْظَة وُدي مائة وَسْق منْ تَمْر، فلمَّا بُعث النَّبيُّ- صلى الله عليه وسلم- قتَل رَجُل من النَّضير رَجُلاً منْ قُرَيْظَة، فقَالوا: ادْفعُوهُ إلَيْنا نَقْتُلهُ، فقَالوا: بيْننا وبيْنكُمُ النَّبيُّ- صلى الله عليه وسلم- ، فأتَوْهُ فنَزَلَتْ: «وَإنْ حَكَمْتَ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بالقسْط»، والقسْطُ النَّفْسُ بالنَّفْس، ثُمَّ نزلَتْ: «أفحُكْمَ الجَاهليَّة يَبْغُونَ». سورة المائدة آية (٥٠)، والحديث أخرجه أبو داود في سننه (٤٤٩٤) وصححه الألباني، وابن حبان في صحيحه (٥٠٥٧).

فانظر: كيف يفعل من قدر منهم على أخيه، وأهل ملته، ولا يزال قوم من أهل ملتنا يطمعون في عدلهم فينا، وأن يردوا إلينا حقنا!

ولم يقف أمرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد بل وصل إلى محاولة فتنة النبي صلى الله عليه وسلم، والاستهزاء به، وهذا ما تناوله في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

اللهم ردنا إليك ردًا جميلا، وارحم ضعفنا واجبر كسرنا وأنج عبادك المستضعفين يا ذا الجلال والإكرام. وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تاريخ اليهود مع الأنبياء

إعداد **الشيخ صلاح نجيب الدق**

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. وبعد: فإنَّ اليهود لهم مواقف سيئة ومُخْزية مع أنبياء الله تعالى على مدار التاريخ، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى كلمة إسرائيل:

إسْرَائيلُ: مأخوذةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ: إسْرَا: تَعْني العَبْدُ، وَإيلُ: تعْني اللَّه؛ فإسْرَائيلُ: تَعْني: عَبْدُ اللَّه وَصَفْوَتَه مِنْ خلْقه. وَإسْرَائيل: هُوَ يَعْقُوبُ ابنُ إسْحَاقَ بن إبْرَاهيم الخَليل، عَليْهِم الصَّلاةُ وَالسَّلام. (تفسير الطبري ج١ص٥٥٣)

وأنبياءُ بَني إسْرَائيل كلُّهم يُنسبونَ إلى يَعْقُوب صلى اللَّه عليه وسلم.

معنى كلمة اليهود:

سُمِّيَت اليَهُودُ بهَذا الاسْمِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَالُوا: (إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ) (الأعراف: ١٥٦) هُدْنَا: أَيْ تُبْنَا. يُقَالُ: هَادَ الرَّجُلُ: أي رَجَعَ وتَابَ؛ وهم أمة موسى صلى الله عليه وسلم وكتابهم التوراة. (تفسير الطبري ج٢ص١٤٣)

نشأة اليهود:

ينتسبُ اليهود إلى نبي اللَّه يَعْقُوبَ بنِ إسْحَاقَ ابنِ إبْرَاهيمَ، وقد وُلدَ إبْرَاهيم بأرضِ بابل بالعَرَاقِ، وكان أهل العراقِ يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ وَالأَصْنَامَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْض كَانُوا كُفَّارًا سوَى إبْرَاهيمَ الخَليل، وَامْرَأَته، سَارة وَابْنَ أَخيه لُوط عَلَيْهِمُ السَّلامُ. وَكَانَ الخَليلُ عَلَيْه السَّلامُ هُوَ الَّذي أَزَالَ اللَّه بِهِ تِلْكَ الشُّرُورَ، وَأَبْطَلَ به ذَاكَ الضَّلالَ. فَإنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آتَاهُ رُشْدَهُ فِي صغره، وَابْتَعَثَهُ رَسُولاً، وَاتَّخَذَهُ خَليلاً فِي كبره. (البداية والنهاية لابن كثير ج١ص:١٣٢)

قَالَ تَعَالَى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ) (الأنبياء: ٥١) أيْ كانَ أهْلاً لذلك.

وَقَالَ سُبحانه: (وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ) (العنكبوت:١٦:١٨).

أقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم الحجة على قومه، فألقوه في النار، فأنقذه الله منها. قال سُبحانه: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) (الأنبياء: ٦٩:٧٠)

هجرة إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلى الشام:

قال تعالى عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ) (الأنبياء:٧١:٧٢).

قالَ الإمامُ ابنُ جرير الطبري (رحمه الله): يَقولُ تعالى ذِكْرُهُ: ونَجّينا إبراهيم ولوطا منْ أعْدائهما نَمْرود وقَوْمه منْ أرْض العراق، (إلى الأرْض التي بارَكنا فيها للعالمين): وهيَ أرْضُ الشّام، فارَقَ صلواتُ الله عليْه قوْمَهُ ودينَهُمْ وهاجَرَ إلى الشّام.(تفسير الطبري ج١٨ ص:٤٦٨)

قال الله تعالى: (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (العنكبوت: ٢٦-٢٧).

وعنْ قتادةَ، قوْلُهُ: (فآمَنَ لَهُ لوطٌ) أيْ فصدّقَهُ لوطٌ وهاجرا جميعًا منْ كوثى، وهيَ منْ سَواد الكوفة(بالعراق) إلى الشّام. (تفسير الطبري ج٢٠ ص:٢٦)

وفي الشام رزقَ الله تعالى إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم بإسماعيل واسحاق، ورزق إسحاق بيعقوب، صلى الله عليهم وسلم

نشأ يعقوبُ صلى الله عليه وسلم في فلسطين وكان سكانها الأصليون هم الكنعانيُّون، وهم من العماليق. (تاريخ الطبري ج١ص٢٠٣)

ورزقَ الله تعالى يعقوبَ صلى الله عليه وسلم باثْنَيْ عَشَرَ ولداً، وهم أصل قبائل بني إسرائيل.

قال سُبحانه: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) (هود:٦٩:٧١).

هجرة بني إسرائيل إلى مصر:

قال تعالى عن أبناء يعقوب صلى الله عليه وسلم: (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) (يوسف:٨٨:٩٣).

وقال سُبحانه: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » (يوسف:٩٩:١٠٠).

قالَ الإمامُ ابنُ جرير الطبري (رحمه الله): كانَ مَسْكَنُ يَعْقوبَ ووَلَده فيما ذُكرَ ببادية فلسْطين. (تفسير الطبري ج١٦ ص:٢٧٥).

عائلة يعقوب صلى الله عليه وسلم:

روى ابنُ جرير الطبري عنْ عَبْد الله بْن شدّاد، قالَ: «اجْتمعَ آلُ يَعْقوبَ إلى يوسُف بمصْرَ وهُمْ ستّةٌ وثَمانونَ إنْسانًا، صَغيرُهُمْ وكَبيرُهُمْ، وذكَرُهُمْ وأنْثاهُمْ، وخرجُوا منْ مصْرَ يوْمَ أخْرَجَهُمْ فرْعوْنُ وهُمْ ستُّ مائة ألْف ونَيْفٌ» (تفسير الطبري ج١٦ ص:٢٧٦).

هجرة اليهود إلى الجزيرة العربية

قام الإمبراطور الروماني تيتوس بهدم هيكل سليمان عام ٧٠ ميلادية، واضطهد اليهود، فاضطر اليهود إلى ترك فلسطين، وهاجروا إلى الجزيرة العربية، وسكنوا المدينة؛ لأنهم كانوا يعلمون من كتبهم أنه قد اقترب زمان ظهور نبي في الجزيرة العربية، وكانوا يرجون أن يكون ذلك النبي من بني إسرائيل، وكان منهم يهود بَني النّضير، وبَني قُرَيْظة، وبَني قَيْنُقاع. (موسوعة اليهود - لعبد الوهاب المسيري- ج٣ص٢٧٦).

افتراءات اليهود على الأنبياء:

سوف نذكر بعض افتراءات اليهود على الأنبياء والمرسلين وهي مذكورة في التوراة المحرَّفة الموجودة بين أيديهم الآن: قال الشيخ عمر سليمان الأشقر:

(١) زعموا أن نبيّ الله تعالى هارون صلى الله عليه وسلم صنعَ عجلاً، وعبده مع بني إسرائيل. (سفر الخروج. إصحاح ٣٢ عدد ١).

وقد بيّن القرآن الكريمُ كذبهم هذا عندما حدثنا أنّ الذي صنعَ لهم عجلاً جسداً له خُوارٌ هو السّامري، وأن هارون صلى الله عليه وسلم قد أنكرَ عليهم إنكاراً شديداً.

(٢) زعموا أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم قدّمَ امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها. (سفر التكوين. إصحاح ١٢ عدد ١٤).

كذبَ اليهودُ على خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم، وقد قص علينا الرسول صلى الله عليه وسلم قصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم هذه عند دخوله لمصر، وفيها أن ملك مصر كان طاغية، وكان إذا وجد امرأةً جميلةً ذات زوج قتل زوجها وحازها لنفسه، فلما سُئل إبراهيم صلى الله عليه وسلم عنها قال: هي أخته، يعني أخته في الإسلام، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى حفظ سارة عندما ذهبت إلى الطاغية، فلم يمسها بأذى.

(٣) زعمُوا أن لوطاً صلى الله عليه وسلم شربَ خمراً حتى سكر، ثمّ قامَ على ابنتيه فزنى بهما الواحدة بعد الأخرى. (سفر التكوين. إصحاح ١٩ عدد ٣٠)؛ ومعاذ الله تعالى أن يفعل لوط صلى الله عليه وسلم ذلك، وهو الذي دعا إلى الفضيلة طيلة حياته، وحارب الرذيلة، ولكنه الحقد اليهودي يمتد إلى الأصفياء من البشر، فلعنة الله تعالى على الظالمين.

(٤) زعمُوا أن يعقوبَ صلى الله عليه وسلم سرق مواشي من والد زوجته، وخرج بزوجته سراً دون أن يُعلمه. (سفر التكوين. إصحاح ٣١ عدد ١٧).

(٥) زعمُوا أن روابين زنى بزوجة أبيه يعقوب صلى الله عليه وسلم، وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم، علمَ بهذا الفعل القبيح وسكتَ (سفر التكوين. إصحاح ٣٥ عدد ٣٢).

(٦) زعمُوا أن داود صلى الله عليه وسلم زنى بزوجة رجل من قواد جيشه، ثم دبّر حيلة لقتل الرجل، فقتل، وبعد ذلك أخذ داودُ صلى الله عليه وسلم الزوجة وضمها إلى نسائه، فولدت له سليمان صلى الله عليه وسلم. (سفر صموئيل الثاني. إصحاح ١١ عدد ١).

(٧) زعمُوا أن سليمان صلى الله عليه وسلم ارْتدَّ في آخر عُمره، وعبَدَ الأصنام، وبنى لها المعابد. (سفر الملوك الأول. إصحاح ١١ عدد ٥).

هذه بعض المخازي والقبائح والكبائر التي نسبها اليهودُ إلى أنبياء الله الأطهار، وحاشاهم مما وصفوهم به، ولكنها النفوس المريضة تنسب إلى خيرة الله من خلقه القبائح، ليسهل عليهم تبرير ذنوبهم ومعايبهم عندما ينكرُ عليهم مُنْكرٌ، ويعترض عليهم مُعترضٌ. (الرسل والرسالات . لعمر سليمان الأشقر ص١٠٤:١٠٥).

مواقف اليهود مع موسى صلى الله عليه وسلم

استعباد الفراعنة لليهود:

قال سُبحانه: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) (البقرة:٤٩).

عبادة اليهود للعجل في زمن موسى صلى الله عليه وسلم:

قال سُبحانه عن السّامريِّ الذي صنعَ العجل لليهود فعبدوه: (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) (طه:٨٨:٩١).

اليهود يرفضون العمل بالتوراة:

قال سُبحانه: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأعراف: ١٧١).

روى ابنُ جرير الطبري عَنْ أَبي بكر بْن عبْد الله بْن قيْس، قال: قال مُوسى صلى الله عليه وسلم لبني إسرائيل: هَذَا كتَابُ الله أتقبلُونَهُ بمَا فيه؟ فإنّ فيه بيَانُ مَا أحل لكُمْ وَمَا حرّمَ عَليْكُمْ وَمَا أمركُمْ وَما نَهاكُمْ. قالوا: انْشُرْ علَيْنا مَا فيهَا، فَإنْ كَانَتْ فَرائضُهَا يَسيرةً وَحُدودُها

خفيفة قبلناها، قال: اقبلوها بما فيها، قالوا: لا، حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها. فراجعوا موسى مرارا، فأوحى الله إلى الجبل، فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء. قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل، قال: فحدثني الحسن البصري، قال: لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل، فرقا من أن يسقط عليه؛ فلذلك ليس في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة. (تفسير الطبري ج:١٣ ص:٢١٩).

اليهود يرفضون الجهاد مع موسى صلى الله عليه وسلم لدخول فلسطين:

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٠) يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ (٢١) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ) (المائدة:٢٠:٢٦).

مواقف اليهود مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

(١) يهود بني النضير يحاولون قتل النبي صلى الله عليه وسلم

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية قتيلين، قالوا نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه- ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد- فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضوان الله عليهم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة. (سيرة ابن هشام ج٢ص:١٩٠).(وهو عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف).

(٢) يهود خيبر يضعون السم للنبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود» فجمعوا له، فقال: «إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟»، فقالوا: نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «من أبوكم؟»، قالوا: فلان، فقال: «كذبتم، بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقت، قال: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟»، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: «من أهل النار؟»، قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا»، ثم قال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟»، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سما؟»، قالوا: نعم، قال: «ما حملكم على ذلك؟»، قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك. (البخاري حديث: ٣١٦٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فتنة اليهود

بين شاس بن قيس ونتنياهو

إعداد أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الاعتداءات الوحشية التي تقوم بها الآلة العسكرية الإسرائيلية: من قتل النفوس البريئة والأطفال والنساء والشيوخ، وما به من إتلاف الأموال والممتلكات وتدمير للبنية التحتية، وارتكاب المجازر المروعة في قطاع غزة، والتي استهدفت أرواحًا بريئة لا صلة لها بالحرب مع الصمت العالمي العجيب المريب، ورفض بعض الأنظمة العربية لثقافة المقاومة والجهاد بما يكشف النقاب عن خنوع ممقوت وانحناء مرذول للمنتمين للعربية والإسلام، ويزيح الستار عن فشل وزيف كل مساعي السلام والتسوية والمفاوضات التي تقوم على شروط القوى الصهيونية التي تمتلك القدرة العسكرية والتفوق الاقتصادي في ظل الضعف العربي والإسلامي العام.

كل ما سبق يطرح سؤالاً يجول في الأذهان المسلمة وهو هل يصلح التسامح مع اليهود؟ وما موقف الإسلام من ذلك؟ وهل يكون هذا التسامح ثمرة خبيثة من حصاد الواقع المر الذي فرضته الصهيونية العالمية على عالمنا الإسلامي ولا نستطيع الفكاك منه إلا بحول الله وقوته ونصره لعباده المؤمنين أم أن المقاومة لا بد أن تستمر مهما تكون الظروف والعقبات؟ ولا يمكن الرد على هذه الأسئلة إلا بالعودة إلى تاريخ الإسلام وفهم آيات القرآن فهمًا صحيحًا، مع دراسة الواقع الإسلامي المعاصر الذي يشهد صراعات دامية مع كيان صهيوني يهودي خطير غُرس في قلب العالم الإسلامي، وفي بقعة من أقدس البقاع منه برغبة غربية ودعم أمريكي غير محدود.

بعد أن هاجر الرسول والمسلمون من مكة إلى المدينة كان اليهود يسكنون أطراف المدينة، ولقد أخذ هؤلاء اليهود يثيرون الشك حول رسالة الإسلام والرسول، فبيَّن القرآن الكريم، خاصة في سورة البقرة، طريقة اليهود منذ عهد موسى عليه السلام، وكيف أنهم دائمًا كانوا يحيدون عن الحق، ويزيِّفون الحقائق، ويرتكبون صنوف العناد والتكذيب لأنبيائهم السابقين، ويخالفون منهجهم الديني الصحيح، قال تعالى في سورة البقرة في حقهم: «يَبَنِي إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» (البقرة: ٤٠)؛ بيَّن القرآن الكريم للمسلمين طبيعة اليهود، وما انطوت عليه نفوسهم من تزييف الحقائق، وتشكيك غير اليهود في معتقداتهم بعقولهم الملتوية البعيدة عن الحق.

لم يكن المسلمون عندما هاجروا إلى المدينة قد دُرِّبوا في شؤون السياسة والاجتماع، ولا يعرفون أساليب اليهود في التشكيك في أمور الدين والدنيا، فكانت آيات القرآن تنزل ترشدهم إلى الإحاطة الكاملة الشاملة التي يجبُ عليهم الاسترشاد بها؛ لأنها تناولت كُليًا العلل وعلاجها، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (آل عمران: ١٠٠- ١٠١).

كان اليهود لا يألون جهدًا في العمل على تشكيك المسلمين في عقيدتهم وفي نبيهم صلى الله عليه وسلم ويسلكون إلى ذلك طرقا من إثارة الفتن والشبهات قال تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ" (البقرة: ١٠٩)، فهم يعرفون أن دين الإسلام هو الحق، ولكنه الحسد أن جاءت الرسالة الإسلامية في العرب، وعنادهم وميلهم إلى الفتنة والكيد، جعلهم يعملون لفتنة المسلمين، وردهم عن دينهم قال تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ." (البقرة: ٢١٧)، وقال تعالى: "وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ." (آل عمران: ٧٢)، وقال تعالى: «إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ» (آل عمران: ١٠٠). فهذه الآيات الكريمة تبين أن اليهود يضمرون الحقد والكيد للمسلمين في كل الأحوال، وبكل الطرق والأساليب سواء كان ذلك بإثارة الفتنة، أو القتال بشنّ الحرب على المسلمين، فهم يريدون فتنة المسلمين في دينهم، والقضاء عليهم.

شاس بن قيس اليهودي:

لماذا وقع الاختيار على "شاس"، ليكون اسمًا لحزب " شاس" في الكيان الصهيوني مع أن اليهود الذين كادوا للإسلام كثيرون؟

لقد تم اختيار شاس؛ لأنه المثل الأعلى لليهودي الذي يُضمر الحقد على الإسلام والمسلمين في كل عصر وآن، ابتداء من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصر "نتنياهو"، ولقد كان شاس بن قيس اليهودي عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم، أما الذي أحدثه شاس من الفتنة فقد مر على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا متآلفين متحابين؛ لأن الإسلام نزع ما في قلوبهم من غل الجاهلية، وشق على شاس أن يراهم وقد طابت نفوسهم وقد برأت عما كان فيها من أحقاد الجاهلية التي زادتها الحروب بين الأوس والخزرج قبل أن يدخلوا في الإسلام، وبالتالي في السلم مر بهم شاس فوجدهم يتجاذبون الحديث المليء بالإخاء والمودة، فانضم إلى مجلسهم، وأخذ يجرهم في الكلام إلى ما كان بينهم من حروب وثارات الجاهلية ويُذكّرهم بأيامهم التي كانت في أغلبها للخزرج على الأوس، وأخذ ينشدهم ما قاله شعراؤهم في أيامهم الغابرة، فانتفضت فيهم العداوة والخصومة التي تحركت في وجدانهم، وهيجت مشاعرهم ومازال بهم حتى تنادوا السلاح، السلاح.

ولكن الله سبحانه الذي جمعهم على محبته، ونزع ما في قلوبهم من غل الجاهلية، وملأها بالإيمان وأخوة الإسلام؛ لم يمهل هذا الشيطان الذي نفث سمومه فيهم، يريد تفريقهم وتمزيقهم وإعادتهم إلى كفر الجاهلية «وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ» (الرعد/١٤).

فما هي إلا دقائق أو لحظات حتى بلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسرع إليهم تحيطه كوكبة من المهاجرين والأنصار أخلصت لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فقضى على الفتنة قبل أن تشتعل. فسكنت ثائرتهم، وأغمدوا سيوفهم ورجعوا إلى الحق نادمين تائبين فنزلت فيهم هذه الآية: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ» (آل عمران: ١٠٠).

شاس اليوم وشاس الأمس:

هل انتهى شاس الأمس من بين اليهود ولم يعد يظهر غيره؟ الحقيقة أن شاس الأمس بقي في أجيال اليهود جيلاً بعد جيل، وكان لكل شاس في كل جيل من أجيالهم عمل شاس الأول نفسه، وأسلوبه وغايته أما درجة الكيد للمسلمين، فقد اختلفت من عصر إلى عصر، بحسب قوة المسلمين أو ضعفهم؛ ذلك أن شاس الأول واجه أمة قوية الإيمان، متراصة متماسكة يقودها نبي مرسل إلى الناس كافة استطاع بعون الله وقدرته أن يؤلف بين المسلمين ويجعل منهم أمة واحدة «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (الفتح/٢٩).

أما شاس اليوم، فهو متمثل في "نتنياهو"، وقد اجتمعت له من القوة المادية والسلاح الفتاك، ومعاونة خصوم الإسلام وفي مقدمتهم القوة الأمريكية الغاشمة وهم يتفقون جميعًا يهودًا وأمريكيين على أهمية هدم الإسلام، وتمزيق أقطاره بإحياء الخصومات والعداوات بينها، ليكن بعضهم إلى بعض البغضاء، وليظن بعضهم في بعض الظنونا حتى يتقطعوا أحزابًا وشيعًا.

إن شاس الأمس أضعف من شاس اليوم وأوهن، فقد واجه شاس الأمس محمدًا وصحبه رضي الله عنهم، ولكن شاس اليوم أقوى قدرة على التدمير، وإحراق الأخضر واليابس، وتدمير البشر والشجر والمدر؛ لأنه يواجه اليوم مسلمين شغلتهم الدنيا عن الآخرة.

ليس أمام المسلمين اليوم إلا تطهير نفوسهم من الغل على إخوانهم المسلمين وتطهير جو الأقطار الإسلامية من الفتن والإحن، ثم الاتحاد لكي يقدروا على شاس اليوم والله المستعان.

على أن أمثال شاش بن قيس اليهودي هم الفريق الغالب على اليهود في زماننا المعاصر، وعليه جاء الخطاب في أغلب الأحوال من شئونهم مع المسلمين. قال تعالى: " يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ " (آل عمران: ٧٠).

وقال تعالى: « قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ » (آل عمران: ٩٩).

وفي كل الأحوال في شؤون اليهود يجب ألا نغفل نحن عن كيدهم ومكرهم ونتمسك بالأحكام والقواعد والمبادئ التي أرساها القرآن الكريم وبينها النبي صلى الله عليه وسلم عمليًا وواقعيًا؛ فهي تمثل سياجًا واقيًا من الضلال والهلاك والمؤامرات التي تدبرها القوى الصهيونية العالمية للإسلام والمسلمين.

موقف المسلمين من الصهاينة:

ابتداء يدعو الإسلام أهله إلى أن يدخلوا في السلم كافة. قال تعالى: «يأيُّها الَّذينَ ءامَنُوا ادخُلوا في السِّلْم كافَّةً» البقرة: !

فالإسلام دين سلام، ولكن في الوقت نفسه لا يقبل الاستسلام، ولا يدعو المسلمين إلى أن يبدؤوا بحرب على غير المسلمين، إلا إذا هم بدؤوا بحرب عدوانية، عند ذلك يفرض الإسلام على المسلمين الجهاد للدفاع عن حوزة الإسلام وعن عز المسلمين.

هذه هي القاعدة الجليلة التي تحدد علاقة دولة الإسلام، بدول غير المسلمين، وهو ما لم نجده في موقف اليهودية من الحروب، فحرب اليهود كما نصت نصوص التوراة غايتها إهلاك الأمم الأخرى كما جاء في سفر العدد ٣٣/٥٠- ٥٣ في حروب موسى: «وكلم الرب موسى في عربات مؤاب على أردن أريحا قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون كل تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم، وتملكون الأرض وتسكنون فيها لأني قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها.

هذا مع أن موسى- عليه السلام- مات في سني التيه بسيناء، ولم يدخل أرض كنعان، فلما دخلها يوشع بن نون فتاه، فعل بها بحسب نص التوراة ما كان أمره به موسى، من قتل الإنسان والحيوان، وتدمير للأرض وحرق وابادة.

ولكن ما هي الأسباب الحقيقية وراء مؤامرة الصمت عن خيانات مجرم الحرب السفاح الرذيل "نتنياهو"، والتي يمر عليها بعض حكام العرب والمسلمين مرور الكرام، ويصمتون صمت الحرج أو الخشية؛ حرصًا على مصالحهم من وجهة نظرهم.

إن الأسباب الحقيقية وراء هذا التعنت الإسرائيلي: هي محاولة إجهاض أي حركة تحررية تحفظ للشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة التي أقرتها المعاهدات والمواثيق الدولية بعد حروب طاحنة بين الطرفين راح ضحيتها الآلاف من الفلسطينيين.

هذه أسئلة تبحث لها عن إجابة طيلة أكثر من سبعين عامًا مضت التي استطاع العدو الصهيوني بالرعاية الأمريكية أن يسيطر تدريجيًا على مقدرات الأمور في الأرض المحتلة من خلال بعض العملاء الذين خانوا قضيتهم، وباعوا استقلالهم، وانخرطوا في سلك العدو الصهيوني لقاء عرض زائل لا يلبث أن يزول.. فهل تخلصت المنطقة العربية والإسلامية من الاحتلال الأوروبي لتقع فريسة للاحتلال الأمريكي المؤيد للصلف الإسرائيلي المتعجرف الذي يعمل في الشعب الفلسطيني الأعزل قتلاً وتدميرًا تحديًا لإرادته واستقلاله؟!

لقد ارتكبت إسرائيل أخيرًا في غزة أبشع

جريمة حرب ضد الفلسطينيين منذ اندلاع المعارك العربية الإسرائيلية خلال السبعين عامًا الماضية والتي راح ضحيتها الآلاف من الفلسطينيين بين قتيل وجريح... ومعوق ومشوَه.. معظمهم من النساء والأطفال مستهدفة بذلك إذلال الشعب الفلسطيني وتصفية الوجود العربي والإسلامي في واحدة من أهم المناطق المقدسة في العالم أجمع، والتي تجمع فيها أفضل رسل الله عز وجل وأكرم أنبيائه يتقدمهم رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد أدرك الجميع مدى خطورة هذه المؤامرة التي ارتكبتها إسرائيل، مما أثار الشعوب العربية والإسلامية في العالم كما دفع- وزير خارجية أمريكا- لأن يُصرَح بأن الغارات الجوية الإسرائيلية على المدنيين في غزة هي مِن قبيل الدفاع عن النفس بنسبة مائة في المائة.... ولا عجب في رؤيته الضالة فإن أمريكا أمدت إسرائيل بآلاف من الصواريخ الأمريكية الحديثة ألقيت من الطائرات المتطورة المعروفة التي زودت بها الولايات المتحدة القوات الإسرائيلية منذ عقدت المعاهدة الفلسطينية الإسرائيلية الأخيرة، ثم بعد معركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر؛ لقناعتها بأن تطبيق المنهج الإسلامي في فلسطين والاستحواذ على بيت المقدس سيحرم أمريكا من حق إذلال الفلسطينيين بالدعم المادي والاستحواذ العسكري!!

لقد بلغت درجات الغليان الشعبي الإسلامي الفلسطيني حتى وصلت ذروتها من جراء الحرب على قطاع غزة- برعاية أمريكية- ، وذلك باتخاذ عدة إجراءات قمعية ووحشية إسرائيلية استهدفت المناطق المدنية في غزة والقطاع لتحويلها إلى خرائب وأنقاض وبحيث لا يبقى لأهل غزة مكان آمن فيها فيضطرهم الى مغادرة أراضيهم الى مصر والأردن لتموت القضية الفلسطينية. وهي جريمة تكاملت أركانها بارتكاب أفظع العمليات العسكرية في المنطقة تحت سمع وبصر العالم وبدعم الولايات المتحدة الأمريكية التي تدعي أنها رائدة الحضارة والمدنية وراعية حقوق الإنسان في العالم.

ربما اكتفى العالم العربي ببعض تصريحات الشجب والاستنكار المألوفة التي تجاهلتها إسرائيل كعادتها في الأرض المحتلة.

مع أن المقاومة الإسلامية في غزة صنعت تحولاً استراتيجيًا في مسار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وبداية جديدة لهذا الصراع من زاوية قلب المعادلات، فبالأمس كانت المعادلة أن إسرائيل لها السطوة والهيمنة فما تريده تفرضه تنفرد بالفلسطينيين، تنفرد بالدول العربية واحدة تلو الأخرى، فإما أن تحقق أطماعها بالسلام أو بالتسوية المعتادة أو بالقوة.

أما الآن فقد فُوجئت إسرائيل بأنها تُضرب في حيفا وعكا وعسقلان وطبرية، وهذه المدن عربية تم تهويدها بفعل الإجرام الإسرائيلي، وتحولت إلى مدن إسرائيلية بالكامل، بل تحولت إلى مثلث صناعي به بتروكيماويات وخزائن للسموم والأسلحة الكيماوية وبه مصافِ للبترول، هذا المكان بدأ يُضرب من شمالِ غزة، وقلب إسرائيل "فلسطين المتهودة" يضرب لأول مرة منذ عام ١٩٤٨م.

والهجوم على المقاومة الفلسطينية تحت أي راية من الرايات أو تحت أي لافتة من اللافتات هو في الحقيقة يستبطن أهدافًا أخرى أكثر من قضايا الاقتصاد أو قضايا الرخاء؛ حيث ارتبطت فترات الازدهار الاقتصادي في الحضارة الإسلامية والعربية بالجهاد. قال تعالى: « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » (العنكبوت: ٦٩).

والله المستعان.

القصد مع الشنآن

إعداد د. أحمد سليمان

رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن ميزان العدل يجب ألَّا يميل مع الهوى، ولا يتزحزح مع العصبية، ولا يتأرجح مع العداوة، ولا يحيف مع الشنآن. قال الله تعالى: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢).

أي: لا يحملنكم بُغْض قوم كانوا قد صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية، على أن تعتدوا في حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلمًا وعدوانًا، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في كل أحد. فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد في كل حال.

وقال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيه، والعدل به قامت السماوات والأرض.

وفي موضع آخر من نفس سورة المائدة يؤكد على هذا المعنى في كل حال ومع كل نفس مؤمنة وغير مؤمنة.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»(المائدة: ٨).

وللإمام الطبري كلام نفيس حول الآية إذ يقول: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا

فيه بأمري، ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.

قال شيخ الإسلام: "وهذه الآية نزلت بسبب بُغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به. فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهي صاحبه أن يظلم مَن أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس؟ فهو أحق ألا يُظلم، بل يُعدل عليه". (منهاج السنة ١٢٧/٥).

والشنآن هو: البغض وقد يكون بأسباب مشروعة كبغضنا لغير أهل ملتنا، وكذا بغضنا لمن يخالفوننا في معتقد أهل السنة والجماعة فمالوا إلى بدعة أو عصبية جاهلية، ومع ذلك أمرنا بالعدل فيهم وألا نجور عليهم.

وقد ابتلينا في زماننا هذا بأناس طُبعوا على الذم والوقيعة، والشتم وقبح الطليعة، والإسقاط لكل من لم يدخل حزبهم فبادروا بهم الوقيعة، وكأنهم قد طبعوا على سوء الظن بالخليقة.

فحالهم كحال جرو ذيب رُبِّي في حظيرة الشياه الوديعة، لكن طبعه لم يتأثر بما رأى من السكينة، فلما شبَّ أكل التي أرضعته وما حفظ لها جميلة

أكلتَ شُوَيهَةً وفجعتَ قومًا
بشاتِهمُ وأنتَ لهمْ ربيبُ
غُذيتَ بدَرِّها ورَويتَ منْها
فمَنْ أنباكَ أنْ أباكَ ذيبُ
إذا كانَ الطِّباعَ طِباعَ سوْءٍ
فليْسَ بنافعٍ أدَبُ الأديبِ

وأهل السنة العاملون بها أعظم النَّاس إنصافًا وعدلاً حتى مع من أساء إليهم، فلا يقابلون السيئة بالسيئة بل يدفعونها بالحسنى.

قال شيخ الإسلام: "هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني فإنه وان تعدى حدود الله فيَّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية. فأنا لا أتعدى حدود الله فيه. بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأجعله مؤتمًا بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكمًا فيما اختلفوا فيه. قال الله تعالى «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، (مجموع الفتاوى ٢٤٥/٣).

وإذا كان الإسلام قد أنصف أهل الذمة أفلا ننصف أهل الملة؟!

ذهب عبد الله بن رواحة ليخرص ثمار اليهود، فأرادوا أن يدفعوا له الرشوة، وكأنهم ظنوا أنه سيحيف عليهم ويظلمهم لأنهم أعداء المسلمين، وهم جَهلة بأخلاق مَن ربَّاهم النبي الأمين.

فعن جابر بن عبد الله، أنه قال: " أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة، فخرصها عليهم، ثم قال لهم: يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إليَّ، قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملني بُغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، قد أخذنا، فاخرجوا عنا" (أخرجه أحمد في مسنده ١٤٩٥٣).

ومن مواقف شيخ الإسلام في قتاله التتار أنه طلب فكاك كل الأسرى من المسلمين واليهود والنصارى وقال للتتار: "وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غازان وقطلو شاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يُطلقون. فقلت له: بل جميع مَن معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإنا نفتكهم ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله. فهذا عملنا واحساننا والجزاء على الله". (مجموع الفتاوى ٦١٦/٢٨).

أهل العدل يقبلون الحق حتى لو خرج من كافر

وقد أخرج أحمد بسند صحيح إلى قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون،

قال: "سبحان الله، وما ذاك؟". قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قالت: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ثم قال: "إنه قد قال: فمن حلف فليحلف برب الكعبة". ثم قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله ندًا، قال: "سبحان الله، وما ذاك؟"، قال: تقولون ما شاء الله وشئت، قال: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال: "إنه قد قال، فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت" (السلسلة الصحيحة ١١٦٦).

وفي الحديث دلالة واضحة على قبول الحق ممن جاء به، وإن كان عدوًا مخالفًا في الدين.

وشواهد هذا ونظائره في الدين ظاهرة، وعلى هذا فكل من دخل دائرة الإسلام لهم علينا حقوق وواجبات وإن عصوا أو ابتدعوا فلا نُسلمهم للكفرة ولا نخذلهم في مواطن النصرة طالما لم يخرجوا من دائرة الإسلام بردة أو شرك أو زندقة.

قال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن الفرقة الناجية والفرقة الهالكة: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك: فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا وقد لا يكون ناجيًا كما يقال من صمت نجا. (مجموع الفتاوى ١٧٩/٣).

أهل السنة قد يخشنون لإخوانهم لكن لا يبترون

من أجمل الأوصاف التي ذكرها شيخ الإسلام- رحمه الله- مع من خالفه أو وقعت بينه وبينه مشادة أنه لا يحمل في قلبه غيظًا لأحد خالفه بل بقي باب الود والمحبة والنصيحة قائمًا.

قال رحمه الله: وتعلمون أيضًا: أن ما يجري من نوع تغليظ أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان: ما كان يجري بدمشق ومما جرى الآن بمصر فليس ذلك غضاضة ولا نقصًا في حق صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا ولا بغض. بل هو بعد ما عُومل به من التغليظ والتخشين أرفع قدرًا وأنبه ذكرًا وأحب وأعظم. وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين التي يصلح الله بها بعضهم ببعض، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى. وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة: لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين. وتعلمون: أنا جميعًا متعاونون على البر والتقوى واجب علينا نصر بعضنا بعضًا أعظم مما كان وأشد. فمن رام أن يؤذي بعض الأصحاب أو الإخوان لما قد يظنه من نوع تخشين- عُومل به بدمشق أو بمصر الساعة أو غير ذلك- فهو الغالط. وكذلك من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون والتناصر فقد ظنَّ ظنَّ سوء، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وما غاب عنا أحد من الجماعة أو قدم إلينا الساعة أو قبل الساعة إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت وأجل وأرفع. (مجموع الفتاوى: ٥٣/٢٨).

فانظر إلى هذا الإمام المقدم عند أهل السنة، وانظر إلى مَن يدَّعي اليوم أنه حام للدين وناصر لما اعوج من الصراط المتين، نراهم قد سلطوا لسانهم وسيفهم على المؤمنين، وقد سَلِمَ منهم كل طوائف الهالكين، وانبروا للطعن بالهوى وليسوا من العلم بمكان مكين، وبضاعتهم نقد وطعن فقد خلت لهم الميادين، فحالهم إلى زوال سَيُستعملون ثم يُهجرون كالمناديل، ويبقى في الأمة المُقسطون وهم على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا، ولا يميلون ميل المتعنتين. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

اعرف عدوك

قال الله تعالى: «مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ» (البقرة: ١٠٥).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثواب إمهال المعسر أو التجاوز عنه

عن عبد الله بن أبي قتادة، أنَ أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه، ثمَ وجده، فقال: إنَي معسر. فقال: آلله؟ قال: آلله. قال: فإنَي سمعت رسول الله صلَى الله عليه وسلَم يقول: «مَن سرَّه أن ينجَيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر، أو يضع عنه» (صحيح مسلم).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال". (صحيح البخاري).

من أقوال السلف

قال معدان: سألت سفيان الثوري عن قوله: «وهو معكم أينما كنتم» (الحديد: ٤)، قال: "علمه". (سير أعلام النبلاء للذهبي).

حكم ومواعظ

قال سفيان الثوري رحمه الله: "لو أن اليقين ثبت في القلب، لطار فرحًا أو حزنًا أو شوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار". (سير أعلام النبلاء للذهبي).

إعداد : علاء خضر

من فضائل الصحابة

عن جعفر بن محمد قال: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر. (سير أعلام النبلاء للذهبي).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

إن في الجنة نهرًا يقال له: رجب، (ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل)، من صام من رجب يومًا واحدًا، سقاه الله من ذلك النهر". حديث باطل. رواه أبو محمد الخلال في "فضل شهر رجب" (١/١١) والديلمي (٢/٢٨١) (السلسلة الضعيفة للألباني).

من حكمة الشعر

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الشيرازي الواعظ في ذمّ الهوى:

إذا ما أطعت النفس في كل لذة
نُسبت إلى غير الحجا والتكرم
إذا ما أجبتَ النفس في كل دعوة
دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

(ذم الهوى لابن الجوزي)

من سير الخلفاء

قال الأوزاعي رحمه الله: "كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلاً، حبسه ثلاثًا، ثم عاقبه؛ كراهيةَ أن يَعجل في أول غضبه". (سير أعلام النبلاء للذهبي).

قول أئمة الإسلام في صيام شهر رجب

قال الحافظ ابن حجر: "لم يَرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معيّن، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ، وكذلك رويناه عن غيره". (تبيين العجب بما ورد في فضل رجب).

داء الزنا وعلاجه

إعداد د. عبد القادر فاروق
موجه بمجمع البحوث وعضو
لجنة الفتوى بالمعادي سابقا

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الزنا من كبائر الذنوب، وهو: وطء المرأة من غير عقد شرعي، وحرَم الله تعالى الزنا والوسائل المؤدية إليه. قال الله تعالى: « وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا **»(سورة الإسراء: ٣٢)، وقال تعالى: (** يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ **) سورة النور آية ٢١.**

وفي الصَّحيحَيْن عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود- رَضي الله عنه-: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، أيُّ الذَّنْب أَعْظَمُ؟ قَالَ: "أَنْ تجْعل لله ندًا وَهُو خَلَقَكَ". قُلْتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قَالَ: "أَنْ تَقْتُل وَلَدكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعكَ". قُلْتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قَالَ: "أَنْ تُزاني بحليلة جَارِكَ" أي زوجة الجار.

قَال الحافظ ابن كثير: "يَقُولُ تَعالى ناهيًا عبادَهُ عَن الزِّنا وعَنْ مُقاربته، وَهُو مُخالطَة أَسْبابه (٦) وَدَواعيه «وَلا تَقْرَبُوا الزِّنا إنَّهُ كَانَ فَاحشَةً» أَيْ: ذَنْبًا عَظيمًا «وَسَاءَ سبيلا» أَيَّ: وَبِئْسَ طَرِيقًا وَمَسْلكًا." تفسير القرآن العظيم ٧٢/٥

والنهي عن قربان الزنا أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأنَّ ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإنَّ (مَنْ حام حول الحمى يُوشك أن يقع فيه) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ/عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٤٨٩.

قال الحافظ ابن القيم: فَصْل في آفات الزنا: «والزنا يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين وذهاب الورع وفساد المروءة وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع ولا وفاء بعهد ولا صدق في حديث ولا محافظة على صديق ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شُعَبه وموجباته.

ومن مُوجباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله، ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة، ومنها سواد الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين.

ومنها ظلمة القلب وطمس نوره وهو الذي أوجب طمس نور الوجه وغشيان الظلمة له، ومنها الفقر اللازم. ومنها أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقطه من عين ربه ومن أعين عباده، ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء، وهو اسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن.

ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في " الصحيحين " عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يَزْني الزَّاني حينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حينَ يَسْرقُ وَهُو مُؤْمنٌ، وَلا يَشْرِبُ الخَمْرَ حينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمنٌ» فسلبه اسم الايمان المطلق وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان ومنها أنه يُعرض نفسه لسكنى التنور (التنور: الفرن وهو بوتقة حرارية من صنع رب العالمين) الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم - فيه الزناة والزواني.

ومنها أنه يفارق الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف، ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة، كما قال الله تعالى (**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**) سورة النور آية ٢٦.

وقد حرّم الله الجنة على كل خبيث بل جعلها مأوى الطيبين، ولا يدخلها إلا طيب.

قال تعالى: (**وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**) سورة الزمر آية ٧٣.

فإنما استحقوا سلام الملائكة ودخول الجنة بطيبهم، والزناة من أخبث الخلق، وقد جعل الله سبحانه جنهم دار الخبيث وأهله في جهنم فلا يدخل النار طيب، ولا يدخل الجنة خبيث.

ومنها الوحشة التي يضعها الله سبحانه وتعالى في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة وفي قلبه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة ومن جالسه استوحش به.

ومنها قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يُرزق المهابة والحلاوة، ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حرمته وعلى ولده، ومنها الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم.

ومنها ضيق الصدر وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له.

ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن، وإذا كان الله عاقب لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة، وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه إياها يوم القيامة، فكذلك من تمتع بالصور المحرمة في الدنيا.

ومنها أن الزنى يجرئه على قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وكسب الحرام، وظلم الخلق وإضاعة أهله وعياله وربما قاده إلى سفك الدم الحرام، فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها ومعها، ويتولد عنها أنواع أخر من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع في حبائلها وأشراكها عز على الناصحين استنقاذه وأعيى الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يُفدى، وقتيلها لا يُودى.

وقال ابن القيم: ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد، وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات، وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته وأمه، وفي ذلك خراب العالم، كانت تلي مفسدة القتل في الكبر، ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه، ورسوله صلى الله عليه وسلم - في سنته.

قال الإمام أحمد: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئا أعظم من الزنى. وقد أكد سبحانه حرمته بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا)سورة الفرقان الآيات ٦٨: ٧١.

فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس، وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح وقد قال تعالى (**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**) سورة الإسراء آية ٣٢.

وعلّق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه، فلا سبيل له إلى الفلاح بدونه منه.

فقال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ) سورة المؤمنون الآيات من ١: ٧.

وهذا يتضمن ثلاثة أمور: أن من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين، وأنه من الملومين، ومن العادين، ففاته الفلاح، واستحق اسم العدوان، ووقع في اللوم، فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك.

وقال ابن القيم: ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها، وزوجها وأقاربها، ونكست رؤوسهم بين الناس، وان حملت من الزنا، فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل، وإن حملته على الزوج أدخلت على أهله وأهلها أجنبياً ليس منهم، فورثهم وليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب إليهم وليس منهم، إلى غير ذلك من مفاسد زناها، وأما زنا الرجل فإنه يوجب اختلاط الأنساب أيضا، وإفساد المرأة المصونة، وتعريضها للتلف والفساد.

وفي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين، فكم في الزنا من استحلال الحرمات، وفوات حقوق، ووقوع مظالم!

علاج داء الزنا

يكمن العلاج في سد الذرائع الموصلة للزنا:

غض البصر للرجل والمرأة كما أمر الله تعالى في سورة النور: قال تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) سورة النور الآيتان ٣٠/٣١.

٢- عدم الخضوع بالقول (عدم الكلام برقة وأنوثة منعاً للفتنة) والمرض نوعان: مرض شبهة ومرض شهوة. قال تعالى: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) سورة الأحزاب الآيتان ٣٢/٣٣.

٣- نهْي النساء عن إبداء الزينة.

٤- تطهير البيت من سموم وسائل الإعلام، ومراعاة الضوابط الشرعية للدخول على الإنترنت والبعد عن مواقع الرذيلة والفساد وقاذورات المعاصي والفضائيات المسمومة؛ لأنّ الإنسان إذا نظر هنا وهنا.... يكون كالذي يأكل ولا يشبع، والعياذ بالله تعالى.

٥- النَّهْي عن الخلوة بالمرأة الأجنبية، في الصحيحين عَنْ عُقْبَةَ بْن عامر- رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ».

قال ابن القيم: إنه صلى الله عليه وسلم حرَّم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن،، ونهى صلى الله عليه وسلم الرجال عن الدخول على النساء؛ لأنه ذريعة ظاهرة، وهذا محل إجماع ولو في باب من أبواب الخير والرشاد كإقراء القرآن وتعليم العلم، وقد حكى الإجماع على ذلك الحافظان ابن حجر والشوكاني (الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، د. بكر أبو زيد ص١١١).

٦- النهي عن سفر المرأة بلا مَحْرم.

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إلاَّ وَمَعَهَا ذو مَحْرَمٍ، ولا تُسَافِرِ المَرْأَةُ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ في غَزْوَةِ كذا وكَذا، قَالَ: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ» واللفظ لمسلم.

٧- النهي عن خروج المرأة متطيبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية) رواه ابن خزيمة وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(وكل عين زانية: وكل عين نظرت إليها بشهوة فهي زانية) كما في البخاري: (فزنا العين النظر

وزنا اللسان المنطق).

٨- النهي عن وصف المرأة امرأة أخرى لزوجها كأنه ينظر إليها.

٩- ضوابط عورة المرأة أمام المحارم (لا يرى الأب من ابنته أو الأخ من أخته أو الزوج من حماته.... (وهكذا سائر المحارم) إلا مواضع الوضوء فقط (شعر الرأس، الرقبة أو العنق، الوجه، الكفين، القدمين)، وكذلك لا يجلس الأب أمام أولاده بسراويل قصيرة؛ لأن الفخذ عورة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والالتزام بآداب اللباس والزينة والاستئذان داخل الأسرة فيه سد لباب زنا المحارم.

١٠- النهي عن الاختلاط بين الرجال والنساء.

١١- البعد عن التبرج والسفور؛ لأنه من الكبائر وتربية البنات على الحجاب؛ فالحجاب فريضة على المرأة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأقل ما يسمى بالحجاب؛ الخمار الذي يُظهر الوجه والكفين، والنقاب واجب إذا خشيت الفتنة والفتنة في زماننا موجودة.

١٢- التفريق بين البنات والأولاد في أماكن النوم، وإن لم يمكن فلنجعل لكل طفل غطاءً مستقلاً.

١٣- مراعاة الضوابط الشرعية في مسألة الدروس الخصوصية فلا يدخل المدرس في غياب صاحب البيت ولا يخلو بالطالبة أو الطالبات.

١٤- النهي عن نشر أسرار الاستمتاع بين الزوجين فلا بد من حفظ السر الخاص (سر الفراش) والسر العام وهو (الحياة الزوجية عموماً).

١٥- النهي عن مصافحة الرجل للمرأة التي يحل له الزواج بها وليست من محارمه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء وهو المعصوم فكيف بنا نحن وهو القائل (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) رواه الروياني وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة": ٢٢.

١٦- البعد عن الصحبة السيئة، قال تعالى (الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) سورة الزخرف آية ٦٧.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي).

١٧- مراقبة تليفونات الأولاد وسلوكياتهم ومتابعتهم سداً لذريعة الفساد.

١٨- تيسير الزواج والبعد عن المغالاة وتكليف الزوج بما لا يستطيعه، قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) سورة البقرة من الآية ٢٨٦.

١٩- استحضار العقوبة؛ الزاني على نوعين هما:

أ- الزاني البكر (سواء كان رجلاً أو امرأة لم يسبق لهما الزواج) فعليهما جلد مائة وتغريب عام

(يُنفي سنة عن بلده) أي عن وطنه، فالجلد عقوبة على البدن والتغريب عقوبة على القلب. والمرأة لا تنفي إلا مع محرم لها وإن لم يوجد محرم فتكتفي بجلدها.

ب- الزاني المحصن (وهو من سبق له الزواج) عليه الرجم وهو أن يُقتل بالحجارة حتى الموت.

٢٠- تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية لأولادنا والقراءة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير الصالحين والزهاد والعلماء والزهاد والعلماء وأهوال يوم القيامة.

٢١- الصيام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " متفق عليه.

٢٢- كثرة ذكر الموت، والاستعداد له، وزيارة القبور، والمرضى، ودور الأيتام، فهذا يرقق القلب ويبعده عن هذه الأمور القبيحة المحرمة، واعلم أن الموت آت، وكل آت قريب؛ قال رسول الله صلى الله علَيه وسلم: (أكثروا ذكر هادم اللذات).

نعوذ بالله من هذا الداء، ونسأل الله السلامة والعافية وأن يحفظ الناس جميعًا من هذا الداء، وأن يرزقنا الخوف منه، اللهم آمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تعظيم الأشهر الحرم

إعداد: الشيخ صلاح عبد الخالق

ذو القعدة
ذو الحجة
الأشهر الحرم
محرم
رجب

الحمد لله على نعمة الإسلام، ونشهد أن لا إله إلا الله الملك العلام، ونشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنام. أما بعد:

أولا: مفهوم الأشهر الحرم

١- قال تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ) (التوبة: ٣٦).

الشهور: جمع شهر. والمراد بها هنا: الشهور التي تتألف منها السنة القمرية وهي شهور، المحرم، وصفر، وربيع الأول.. إلخ. وهذه الشهور عليها مدار الأحكام الشرعية، وبها يعتد المسلمون في عبادتهم وأعيادهم وسائر أمورهم. (التفسير الوسيط لطنطاوي ٦/٢٧٧).

٢- أَرْبَعَةُ حُرُمُ: اخْتَصَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَجَعَلَهُنَّ حَرَامًا، وَعَظَّم حُرُماتهن، وَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْأَجْرَ أَعْظَمَ. (تفسير ابن كثير ٤/١٤٨).

٣- الأشهر الحرم هي: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ. (رواه البخاري ٣١٩٧، ومسلم ١٦٧٩)، وَرَجَبُ مُضَرَ أَضَافَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى (قبيلة) مُضَرَ: لأَنَّهُمْ كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ. شرح النووي (١١/١٦٨).

ثانيا: من الآداب في الأشهر الحرم منها مثلا:

١- عدم ظلم النفس: قال تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » (التوبة: ٣٦). «فلا تظلِمُوا فيهنَّ أنفُسَكُمْ» أي لا ترتكبوا الذنوب والمعاصي في الأشهر الحرم فإن ذلك يوجب غضب الله تعالى وسخطه عليكم فلا تعرضوا أنفسكم له. (أيسر التفاسير: ٢/٣٦٦).

أولاً: تعريف الظلم: الظلم في اللغة: خلافُ الضِّياء والنور، والآخر وَضْع الشّيء غير موضعه تعدِّياً. (معجم مقاييس اللغة ٣/٤٦٨).

الظلم في الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد. (التعريفات للجرجاني ص١٨٦).

ثانيا: أنواع الظلم:

قال بعض الحكماء: الظُّلْمُ ثلاثة: الأول: ظُلْمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشِّرك والنِّفاق، ولذلك قال: «إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣) والثاني: ظُلْمٌ بينه وبين النّاس، وإيّاه قَصد بقوله: «إنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ» (الشورى: ٤٢).

والثالث: ظُلْمٌ بينه وبين نفسه، وإيّاه قَصد بقوله: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» (الشورى: ٣٢).

وكلّ هذه الثّلاثة في الحقيقة ظُلْمٌ للنّفس، فإنّ الإنسان في أوّل ما يهمّ بالظُّلْم فقد ظَلَمَ نفسه، فإذا الظّالمُ أبداً مبتدئٌ في الظُّلْم ولهذا قال تعالى: «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (النحل: ٣٣). (غريب ألفاظ القرآن ١/٥٢٧).

ظلم العبد لنفسه: أن يُوردها موارد الهَلَكَة؛ لا يأخذها بالكمال، وإنما يذهب بها- والعياذ بالله- إلى مواطن الزيغ والضلال من الانحرافات، والمعاصي، والذنوب، والزنا، والخمور، وقطع الصلاة، وإتيان المعاصي والمنكرات، هذا ظالم. (دروس للشيخ سعيد بن مسفر ٧/٧).

- ومن أعظم الظلم والمعاصي اليوم إطلاق الألسن في أعراض المسلمين، والتسميع بهم عند العَلمانيين وفي فضائياتهم، لمجرد خلافات، ربما كان محلها مجالس العلم والعلماء، فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: «كفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه». قلت: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» (صحيح الترغيب والترهيب، رقم: ٢٨٦٦). ولا يظلم نفسه أيضًا؛ لأنه ليس حرًا في أن يفعل فيها ما يشاء، وكل معصية يرتكبها فهو ظلم لنفسه، لأنه يوردها مهالك الدنيا والآخرة هذه المعاصي.

الخروج من ظلم النفس: من رحمة الله الواسعة أن جعل لنا مخرجًا نخرج منها إلى الطريق المستقيم الذى يرضاه رب العالمين، وهذه الطرق كثيرة منها: التوبة والاستغفار؛ قال تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا» (النساء: ١١٠)؛ أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفارًا تامًا يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة. (تفسير السعدي ١/٢٢٠).

٢- تقوى الله تعالى: قال تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً

كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ » (التوبة: ٣٦).

قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّه مَعَ المُتَّقِينَ أي: واعلموا أيها المؤمنون أن الله تعالى مع عباده المتقين بالعون والنصر والتأييد، ومن كان الله معه فلن يغلبه شيء؛ فكونوا أيها المؤمنون من عباد الله المتقين الذين صانوا أنفسهم عن كل ما نهى عنه لتنالوا عونه وتأييده. (التفسير الوسيط لطنطاوي ٦/ ٢٨٠). من معاني التقوى: قيل: التقوى هي: ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك. التقوى هيَ الخَوفُ مِنَ الجليل، وَالعَمَلُ بالتَّنْزيل، وَالرِّضَا بالقَليل، وَالاسْتعْدَادُ لِيَوْم الرَّحِيل" علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فتعظيم هذه الأشهر يكون بزيادة التقوى والاجتهاد في العمل الصالح، ولئن يهد الله بك رجلا واحدًا في هذه الأشهر، لهو خير مما في سواها، خير لك مما طلعت عليه الشمس مضاعفًا. فإن قيل ما الحكمة في تعظيم الوزر ومضاعفة الأجر في أربعة أشهر من بين اثني عشر شهرًا؟ قيل: ذلك من رحمة الله تعالى بالمؤمنين، وحسن تربيته لعباده، والأخذ بأيديهم برحمة وحكمة، فلو أنه سبحانه ضاعف الوزر كامل السنة لربما هلك الصالحون بمضاعفة ما قد يأتون من معصيتهم وظلمهم لأنفسهم؛ إذْ أنه ليسوا بمعصومين، فكان أن جعل الله تعالى الحرمة والمضاعفة خاصة بأربعة أشهر فقط، ليستطيع المسلم شدَّ إزاره والاجتهاد فيها أكثر ما يستطيع، ثم ليكون ذلك دربةً له في باقي الأشهر المخففة، وهكذا إذا اتقى الله تعالى وجاهد نفسه؛ وَجَد نفسه في سائر الشهور متقيًا محترسا متيقظًا، قد صار له ذلك عادة وسجيَّة

٣- الإكثار من طاعة الله تعالى: قال تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » (التوبة: ٣٦).

مَعْنَى الحُرُم: أَنَّ المَعْصِيَةَ فيهَا أَشَدُّ عقابًا، وَالطَّاعَةَ فيهَا أَكْثَرُ ثَوابًا، وتَخْصِيص بَعْض الأَشْهُر بمَزِيد الحُرْمَة: أنْ يَعْلَمَ اللّه تَعَالَى أَنَّ وُقُوعَ الطَّاعَة في هَذه الأَوْقَات أَكْثَرُ تَأْثيرًا في طَهَارَة النَّفْس، وَوُقُوعَ المَعَاصي فيهَا أَقْوَى تَأْثيرًا في خُبْث النَّفْس. (مفاتيح الغيب ٤١/١٦). فهيا نعمر هذه الأشهر والأيام في الاجتهاد في جميع أنواع العبادة والطاعة.

٤- نشر السلام والمحبة: الأشهر الحرم، دعوة إلى السلام الذي ينبغي أن يقوم بين الناس، حتى تطيب لهم الحياة، وحتى يكون سعيهم كلّه متجهًا إلى العمل المثمر، الذي يعود عليهم جميعًا بالخير والبركة، والنّماء لما في أيديهم من عمل، في غير مجال الحرب والقتال. (التفسير القرآني للقرآن ٧٦١/٥).

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: « لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ » صحيح مسلم (٥٤).

٥- ويُعظم الأشهر الحرم بأن يجهد فيها بفعل أنواع المعروف وأبواب الخير، وليتخيَّر أعظمها، فإنها أكثر من الأوقات، ولا يسعه فعلها كلها، فليكن من أولوياتها أولاه بالأجر العظيم، ليزداد عظمة بهذه المضاعفة. اجعلها مدرسة لك تتعود فيها حبس نفسك عمًا لا يرضاه الله تعالى من الأقوال والأفعال، وحتى الخواطر، وصَبْر نفسك على فعل الصالحات ومصاحبة الصالحين، الذين يدعون ربهم: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » (الكهف: ٢٨).

والحمد لله رب العالمين.

فلسطين العروبة..
وفردوسنا المفقود

جبل كنعان
جبل عداثر
جبل الجرمق
جبل حزور
صفد
جبل طرعان
جبل تابور
طبرية
الناصرة
حيفا
بيسان
طولكرم
نابلس
رام الله
القدس

إعداد **أ. محمد محمود فتحي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن المتأمل لمجريات الأحداث والمدرك لمفردات الزمن، لا يغيب عن ناظره تلك الصفحات المشرقة من تاريخنا المجيد، وإذا كان البشر قد سبروا أغوار البحار بما تحويه من نفائس وأسرار، فإن هناك دررًا لم تزل مغيبة في أعماق الزمن تنتظر من يميط اللثام عن مكنوناتها، إننا ننعى الحاضر بمداد الماضي، ونكشف الستر عن جسد الأمة المسجى في دياجير الهوان لتستلهم العبر ونستوثق من صحة الخبر وحتى تبقى سنة الله الخالدة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، ماثلة أمام أعيننا وفي حنايا القلب لا تغادر أبدًا.

فلسطين بلد يسكن وجداني أتنسم أريجها الفواح عبر تلك النسمات القادمة من غياهب الأيام وخطرات الأوهام، فهي المنبع والملاذ وواحة الاطمئنان والسلوان، وقيثارة الوجدان التي ننتصر لها في حالات اليأس وحسرته، ونندمج معها اندماجًا كليًا وكأنها إكسير الأمة وعصارة آماله وهي رمزٌ للنضال ومعبرٌ للحياة.

(القدس- غزة- عكا- بيسان- الناصرة- يافا- صفد- الرملة- اللد- بئر السبع- عسقلان) وغيرها حبات فلسطينية في عقد فريد من اللؤلؤ الثمين، ضاع من صاحبه في أزمنة الغربة المتعاقبة فتنفس صاحبه حسرة عليه عندما فقده، وجاء الورثة السفهاء

فصارت المأساة قصة يتلون برواياتها في ليالي السمر الباردة، وصرنا نعيش مخاضًا روحيًا حقيقيًا ننفصل فيه عن ماضي قريب جديد ما زلنا نحمل أوزاره، لنتجه إلى مستقبل خصيب ما زلنا نتشوق إليه ونلمحه في الأفق دون أن نقبض عليه وإلى أن يأذن الله بالغلبة والتمكين حريٌ بنا أن نعيد قراءة التاريخ من جديد، نقلب بين صفحاته ونستعرض فصوله، وأعظم فصل في تاريخ الإسلام قصة فلسطين التي ضاعت منا أو أضعناها حتى إذا ما تكاملت الرؤى وانحلت الظنون ودار التاريخ دورته المعتادة، تردد في الأفق تساؤل واحد: كم من فلسطين أضعناه؟

فلسطين وتضاريس المكان:

إن لفلسطين بُعدًا تاريخيًا ضاربًا في القدم، فهي تزاحم القرون وتناطح الجبال الرواسي، وتقف على هضبة الزمن الغابر باسمة الثغر مرفوعة القامة تعانق الجوزاء، وتداعب أقطار الدنيا في زهو وإباء، فهي أرض الرسالات ومنبع التحضر البشري ووجدان التاريخ الذي يفخر بها كومضة مرت عبر السنين الطوال وما زال ألقها باقيًا إلى اليوم لا تؤثر فيه تقلبات الدهر ولا تصاريف الأيام. تقع فلسطين في المنطقة الجغرافية الواقعة جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط حتى وادي الأردن، وتمتد لتشمل شرق نهر الأردن وهي تقع في غرب أسيا، وتلتقي هي وجزيرة سيناء عند نقطة التقاء قارة إفريقيا وآسيا؛ حيث تكون الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام المتصل بمصر، وتبلغ مساحتها (٢٦,٩٩ كم٢) وعاصمتها القدس المحتلة وأهم مدنها (عكا- أسدود- عسقلان- بئر السبع- ديمونا- وأم الرشراش التي تسمى الآن إيلات- حيفا- اللد- الناصرة العليا- طبريا- الطيرة)، وفلسطين مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشمال للجنوب ٤٣٠كم، والعرض من الشمال من ٥١- ٧٠كم، وفي الوسط ٧٢- ٩٥ كم عند القدس، أما الجنوب فيبلغ ١١٧كم، عند رفح وخان يونس حتى البحر الميت وتقسم جغرافيًا لأربع مناطق (جبال الجليل ونابلس والقدس والخليل)، وفي أقصى الجنوب هناك صحراء النقب، كتب عنها هيرودوت المؤرخ الإغريقي في القرن الخامس قبل الميلاد؛ حيث أشار إلى بلاد الشام والرافدين باسم سورية وإلى جنوبها بفلسطين (بليستينية)، وقد استعار هذا الاسم من مسمى (يلشت) الذي أشار إلى الساحل الجنوبي ما بين وادي العريش ويافا حيث وقعت المدن الفلستية، وقد أشار المؤرخون إلى أن الفلستيون من أبرز الشعوب التي عاشت في فلسطين في القرن ١٢ ق.م. لمدة ٥٠٠ عام على أغلب الأقوال، غير أن استخدام لفظ فلسطين كمسمى لمنطقة جغرافية وسياسية لم يتم إلا في القرن الثاني الميلادي، عندما ألغت الإمبراطورية الرومانية مسمى (ولاية يهوذا) عقب تمرد اليهود عليهم عام ١٣٢ للميلاد، وأقامت ولاية فلطسين السورية بديلاً عنها، وبصفة عامة يمكن تحديد فلسطين بأنها المنطقة الممتدة من نهر الليطاني شمال لبنان إلى رأس العقبة جنوبًا، ومن البحر الأبيض المتوسط غربًا إلى البادية السورية في الأردن شرقًا. غير أن حدود فلسطين التاريخية من البحر الأبيض المتوسط غربًا مرورًا بنهر الأردن شرقًا، ويمكن أن نجمل القول أن فلسطين تقع بين مصر ولبنان وسوريا والأردن، وقد عمر تلك التضاريس حضارات عدة منذ الألف الثامن قبل الميلاد بلغت عشرين حضارة، ويجمع المؤرخون على أن الكنعانيين (وهم عرب) أقدم شعب استوطن فلسطين ثم تعاقبت عليه العديد من الحضارات لقدماء المصريين والفلستينين وبني إسرائيل والأشوريين والبابليين والفرس والإغريق والرومان والبيزنطيين، وكذلك الخلافة العربية، وأيضًا الصليبيين بحملاتهم المتعددة، والأيوبيين بهممهم المتأسدة، ثم المماليك والعثمانيين، ثم جاءت بريطانيا بوعدها اللعين الذي أمكن لإسرائيل الشتات من لم شعسها المبعثر عبر التاريخ والتضاريس في فلسطين الآبية.

فلسطين منبع الحضارات:

كلما ابتعدنا عن قافلة الزمن وأوغلنا في المسير، صرنا لا نرى إلا شواخص لحضارات دهمها الزمن برياحه العاتية، ومزقتها الخطوب

بتقلباتها المتتالية، وانزوى التاريخ في مكان قصي يحمل بين دفتيه غوامض الأيام ويحدد بوضوح مسارات الأنام ويرسم للبشرية خارطة محددة الأبعاد لوجه الأرض الخفي، فالتاريخ وما فيه من حقائق وما يرسم من صور يعد مادة للثقافة، وأداة من أدوات التعبير بشؤون هذه المعمورة، فهو يعقد صلة بين أفراد الجيل الحاضر وما سبقهم من أجيال، ليريهم كيف انحدروا إلى حاضرهم والمتغيرات التي اكتنفت مسعاهم، ومبلغ تأثيرها فيهم ومدى تأثيرهم فيها، حتى استطاع التفاعل بينهم وبينها أن ينبثق منه جيلهم الحاضر، لكي يعرف اللاحقون أين هم وأين مكانهم بين سنايا الأيام وصفحات الإنسانية.

فعلى هذه المنطقة وجدت آثار الوجود البشري جنوب طبريا من نحو ٢٠٠ ألف عام ق. م، فقد وصل الكنعانيون من الجزيرة العربية إلى فلسطين بين (٣٠٠٠- ٢٥٠٠ ق.م)، غير أنه في عام ١٢٥٠ ق.م استولى بنو إسرائيل على أجزاء من بلاد كنعان الداخلية، ثم بنى نبي الله سليمان عليه السلام الهيكل في القدس بين عامي (٩٦٥- ٩٢٨ ق.م)، ثم استولى الأشوريون وأعقبهم البابليون بقيادة بختنصر على مملكة يهوذا وهدموا المعبد عام ٥٣٩ ق.م، ثم استولى الفرس على بابل وسمحوا لليهود ببناء الهيكل الثاني، وفي عام ٣٣٣ ق.م داهم الإسكندر بلاد فارس، وبذلك أضحت فلسطين تحت الحكم اليوناني، ومن بعدهم البطالسة والسلوقيون السوريون، ثم انضمت بعد ذلك فلسطين إلى الإمبراطورية الرومانية ٦٣ ق.م، ثم انضوت تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية؛ حيث اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول المسيحية وجعلها دين الإمبراطورية الرسمي، ولقد علا شأن فلسطين لأنها مهد المسيحية، وبالعودة إلى الوراء فبالإضافة للكنعانيين العرب، كانت هناك حضارات عربية أخرى وُجدت على أرض فلسطين كالأقباط ٥٠٠ ق.م، والأراميين ١٥٠٠ ق.م والأموريين.

ثم توالت السنون إلى أن فتحها المسلمون في العام السادس عشر للهجرة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي تسلم مفاتيح بيت المقدس وكتب لأهلها العهدة العمرية، ثم تتابعت دول الإسلام على فلسطين؛ فمن خلافة أموية لأخرى عباسية، وابتداءً من عام ٨٧٨م حكمت فلسطين من مصر في العهد الفاطمي، ثم حكمها السلاجقة، إلى أن لاح من بعيد طوفان يهدر هدرًا أزكى أواره باباوات الغرب وتسابقت دوله بإرسال حملات شنعاء عرفت بالحملات الصليبية ١٠٩٩م، حيث احتلوا فلسطين وأسسوا فيها مملكة بيت المقدس، لكن لم يمض قرن من الزمان حتى أذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا على يد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين عام ١١٨٧م، ثم آلت فلسطين إلى حكم المماليك، حيث دارت على أرضها معركة فاصلة في تاريخ العالم الإسلامي بين المسلمين والمغول في عين جالوت ١٢٦٠م والتي كانت بمثابة بداية الانحسار لتلك القوة الغاشمة التي داهمت المسلمين وأسقطت الخلافة العباسية، ثم سيطر العثمانيون عليها عام ١٥١٦م، ولقد استعرضنا تاريخ فلسطين في قفزات متسارعة ووثبات متلاحقة، حاولنا من خلالها أن نربط قرونًا عدة بعضها البعض، وليغفر لنا التاريخ تسارع الأحداث والعبور بلا هوادة لنربط العصر القديم بما تلاه بعد ميلاد المسيح، ثم العصور الوسطى ثم الولوج إلى العصور الحديثة، ولقد انضوت فلسطين تحت الحكم العثماني حيث ازدادت أهمية موانئها في عهدهم وازدهرت المدارس والمساجد والكنائس والأسواق، لكن الخلافة العثمانية دبّ فيها داء الأمم واعترتها معالم الهرم، وكان هذا الضعف هو البداية الفعلية للاستعمار الأوروبي الذي سيخيم بظلاله على عالمنا الإسلامي، ويثب وثبة الغادر على جسد الخلافة ليمزقها أشلاءً مبعثرة، ويمكن القول: إن حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨م هي بداية هذا الصراع الذي لن يهدأ حتى يومنا هذا.

التغريبة الأولى:

شهد القرن الثامن عشر قيام الثورة الصناعية في القارة العجوز؛ حيث بزغ نجم الإمبراطورية البريطانية والإمبراطورية الفرنسية واللتان سعتا إلى اقتسام العالم فيما بينهما، ففي عام ١٩١٦م وعقب هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى، ثم اتفاق سرّي بين فرنسا وبريطانيا لاقتسام الجزء الشمالي من الأراضي العربية (العراق وبلاد الشام)، ثم كان وعد بلفور في نفس العام الذي أوجد لليهود كيانًا سياسيًا في فلسطين، ثم في عام ١٩١٧م استولى الجيش البريطاني على فلسطين ودخلت مُدنه في مظلة الانتداب البريطاني عام ١٩٢٠م، والذي سمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وفي عام ١٩٣٦م قامت الثورة الفلسطينية الكبرى، حيث تدخلت هيئة الأمم الغاشمة بتقسيم مقيت منحت من خلاله ٥٥٪ من أراضي فلسطين لإسرائيل، وفي العام ١٩٤٨م انسحبت بريطانيا من فلسطين في ترتيب متفق عليه لتعلن المنظمات الصهيونية قيام دولة إسرائيل في نفس اليوم، كان لهذا الإعلان الدوي الهادر في أرجاء العالم من المحيط إلى المحيط مما حدا بالدول العربية إلى توحيد الصف والدخول في حرب مع إسرائيل في نفس العام، حيث قامت خمس دول عربية (مصر- سوريا- الأردن- لبنان- العراق) بدخول فلسطين واستمرت المعارك حتى يناير ١٩٤٩م، كانت تلك الحرب وما أعقبها من هزيمة مخزية للجيوش العربية بداية التغريبة الفلسطينية وتبلور في الأفق مصطلح اللاجئين، وذلك بخروج ٧٠٠ ألف فلسطيني من ديارهم إلى الضفة الغربية وقطاع غزة وكذلك للدول المجاورة ودول المهجر، وطرد وهجر غالبية السكان وصادرت إسرائيل البيوت العربية التي هجرت من أهلها، وتم هدم مئات البيوت والمباني العربية في معظم الأحياء الفلسطينية، ثم قامت حرب (٥٦)، العدوان الثلاثي، حيث اعتدت فرنسا وإسرائيل وبريطانيا على مصر بعد إعلان جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس؛ حيث استولت إسرائيل فيها على قطاع غزة، وفي العام ١٩٦٧م قامت حرب النكسة بين إسرائيل وكل من سوريا والأردن ومصر، حيث آنست منهم ضعفًا فباغتتهم وأعقب ذلك سقوط باقي فلسطين (قطاع غزة والضفة الغربية) في حوزة إسرائيل، وبعد عشرين عامًا قامت انتفاضة فلسطين ١٩٧٨م، والتي أحيت الآمال في القلوب المعنّاة، وأيقظت الهمم، وبعد مفاوضات سرية وقّع رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين مع ياسر عرفات اتفاقية تم على إثرها انسحاب إسرائيل من قطاع غزة في عام ٢٠٠٥م، وبعد ثلاثة أعوام سيطرت حركة حماس على قطاع غزة بعد فوزها في الانتخابات التشريعية.

لقد أسقطنا الكثير من الأحداث وعبرنا حاجز الزمن سراعًا، ولا ريب في ذلك فالإسهاب لا تكاد تكفيه صحائف الأيام ومداد الأعمار، لكنه إيجاز لا يخل بتاريخ حافل بالملمات، وعبور كومضة برق في بحار التاريخ المزدحمة بالرؤى والقصص، لقد كانت البداية الحقيقية للتغريبة الفلسطينية ضعف الخلافة العثمانية وأفول نجمها مما مكّن قوى الغرب من المساس بمقدرات الشعوب الإسلامية، وحشد اليهود من بلاد الشتات وتوطئة فلسطين العربية أرضًا خصبة لهم، ليبقى الصراع مشتعلاً أبدًا في تلك المنطقة، ولتبقى تلك الجمرة المتقدة وبالاً على العالم العربي، يذكي أوارها تشتت العرب وتفرق الصف واندثار الهوية.

التغريبة الثانية:

كانت فلسطين وما زالت ضمير الأمية ونبضها الحضاري، تسابق الزمن وتلامس الوجدان وتستأثر بما في جعبة الدهر، وتحاول خلق نسيج موحد لتلملم شعث الأمة العربية من شتاتها الأبدي، لعل اليقظة أن تدب على استحياء، فيبلغ صداها المتباعد النفوس الحائرة المحيطة بها، فتنطلق لتلامس الواقع وتعي الأخطار وتتخطى حدود الزمان والمكان إلى عوالم جديدة ذات آفاق رحبة، وتعي البطولة الحقة والتي هي النداء الذي ينبغي أن يغرس في النفوس الكبيرة في مرحلتنا العربية الكبرى، وقد أثمر هذا النداء عن طوفان الأقصى الذي جرف في سيلانه غطرسة المستبد وسطوة الظالم وكبرياء المتبجح، ففي ٧

أكتوبر ٢٠٢٣م، قامت المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركة حماس بشن هجوم مباغت على المستوطنات الإسرائيلية بآلاف الصواريخ من ديمونا في الجنوب إلى هود هشارون في الشمال والقدس في الشرق، مع اقتحام بري عبر السيارات رباعية الدفع والدراجات النارية والطائرات الشراعية للبلدات المتاخمة للقطاع، وتمت السيطرة على عدد من المواقع العسكرية في سديروت واوفاكيم ونتيفوت، وقاموا بأسر عدد من الجنود واقتادوهم لغزة، وكذلك تحصلوا على عدد من الآليات العسكرية الإسرائيلية، وفي ٩ أكتوبر تم استعادة تلك البلدات بواسطة جيش الاحتلال، ومنذ ذلك التاريخ إلى يوم الناس هذا فرض الكيان الصهيوني حصارًا على القطاع، وبدأت الإبادة المستعرة من سحق للبنى التحتية وإزهاق للأرواح البشرية، وأسر للأنفس الذكية، وتغيير لوجه الأرض في قطاع غزة، وأضحى العمران أطلال نبكيها ونتباكى عليها، وعادت الأنفس بعد مفارقة الأجساد البالية إلى ربها بأعداد لا حصر لها، ومهما بلغت التقديرات فهناك تحت خفايا الركام أجساد لا يعلم بها إلا خالقها، وبدأت تغريبة جديدة تلوح في الأفق لتنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين.

ولكن هل بقي في دنيا الناس أحياء، وما معنى الحياة إن كنا لا ندرك كنهها ولا نقدرها قدرها، لقد أضحى الأحياء في فلسطين كالأموات يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، لكن عزائمهم الدنيوية والأخروية ما خارت ولا تسللت إليها بوادر اليأس، إن ما يحدث في الأرض المباركة كالبرق الساطع الذي يشق أعماق الحياة، فيرى الإنسان ما لا يراه غيره ويمتزج الواقع المرئي بما يختلج في الصدور، إن رؤية الواقع واستشفاف معانيه يفرض علينا جميعًا أن نرى أن قضية الشعب الفلسطيني ليست معزولة وأن دعم صموده إنما هو في الواقع دعم للتحصينات الدفاعية عن الوطن العربي، وأن إيقاف الانحدار إنما هو نقطة ضرورية لا لاستعادة الحقوق فحسب، وإنما لمنع الكارثة من أن تتكرر.

وفي خضم تلك النكبات ينبغي أن نسأل أنفسنا في هذه الأيام من نحن؟ إننا الغياب، اللاشيء ولعل هذا الجواب هو منطوق رواد الاستعمار الغربي منذ قرنين، إن هذا السؤال لم يعد من الصائب توجيهه إلى الجهة المقابلة، بل لا بد من توجيهه إلى وجهته السليمة، إلى ذواتنا، لنعي أنفسنا جيدًا ولندرك أن التاريخ في فلسطين الآن تاريخ طويل، كان هنا قبل آلاف السنين ثم انسحب، وبعث مجددًا بإحياء الأساطين والعلماء وسكان المستعمرات القادمين من وراء المحيط، وما الغرب إلا نتاج حضارة قائمة على نفي الآخر، وعدم الاعتراف بإنسانيته وهو ما يفسر كيف أن عددًا كبيرًا من الحضارات قام الغرب بتدميرها تمامًا، وما نحن- بني الإسلام- بالنسبة لليهود إلا وجود طارئ وهامشي، فالمنطقة العربية كما يدّعون لم توجد إلا بوجود اليهود فهم الذين أعطوها وجودها في الماضي، وهم الذي سيعطونها وجودها في الحاضر، هذه هي الأسطورة التي تتغلغل في نسيج الوعي الغربي والتي جعلت ول ديورانت يقول في موسوعته (قصة الحضارة) عن عودة اليهود إلى فلسطين بعد السبي البابلي: «إنها عودة لم تجد ترحيبًا في وطنهم القديم كما لا يجد العائدون إليه هذه الأيام».

وفي خضم هذه الأساطير والتي طبقت بالفعل على أرض فلسطين، ترى هل نحن خارج الزمن، أو أن الزمن الحقيقي ليس هو زمن هؤلاء السائرين دومًا في سباتهم، أو أننا صرنا كالغريق الذي غاب في الأعماق وتنفس الماء وشارف الغرق وغاب عن الوجود لحظات كأنها أعوام أو قرون، وتداخلت في إدراكه صور الماضي السحيق بعزه وعنفوانه، مع الأمل المرجو من بعيد، لحظة يكاد الإنسان فيها أن يدرك معنى الموت ودلالات الحياة في آن واحد.

والحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

اليهود: نشأةً وتاريخًا

إعداد الشيخ صفوت الشوادفي
رئيس تحرير مجلة التوحيد
الأسبق رحمه الله

الحمد لله، والصلاةُ والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ القرآن الكريم قد حدَّثنا كثيرًا عن اليهود، وحذَّرنا دائمًا من عداوتهم، ونبَّهنا إلى كفرهم ومكرهم؛ قال تعالى: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ» (المائدة: ٨٢).

واليهود يُجاهدون ويُصرُّون على هذه العداوة؛ تحقيقًا لهذه الآية الكريمة من كتاب الله.

فقد نشرتْ صحيفة (يديعوت أحرنوت) اليهودية في (١١/٣/١٩٨٧م) مقالا جاء فيه:

"إنَّ على وسائل إعلامنا ألاَّ تنسى حقيقةً مهمَّة، هي جزء من إستراتيجيَّة إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أنَّنا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عامًا، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدًا عن تلك المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب ألا نغفل لحظةً واحدةً عن تنفيذ خُطَّتنا تلك في استمرار منْع استيقاظ الرُّوح الدينيَة بأيِّ شكل، وبأي أسلوب، ولو اقتضى الأمرُ الاستعانة بأصدقائنا؛ لاستعمال العُنْف لإخماد أي بادرة ليقظة الرُّوح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا".

يَستخدم اليهودُ لمحاربة الإسلام صُورًا عديدة، وأشكالاً متباينة:

ومن هذه الصور: هَدْم الأسرة، وتدمير الأخلاق، وبرغم ما بذله اليهود في هذا المجال من جُهد، وقدَّموه من إغراءِ يتمثَّل في إغراق بلاد المسلمين بالأفلام الخليعة الماجنة، ونَشْر العُرْي والاختلاط، ومحاربة الفضيلَة، ومسْخ بعض العقول المسلمة.

أقول: برغم ذلك كلُه، فقد صَمدت الفئة المؤمنة في وجه المؤامرة، يعصمها كتابُها وسُنَّة نبيها صلى الله عليه وسلم، بينما استسلم الغَرْبُ وأمريكا لليهود، فلم تستطعْ فرنسا أن تقاومَ في الحرْب العالمية الثانية أكثر من أسبوعين؛ لأنَّ جيلاً كاملاً من الفرنسيِّين قد ماتتْ رُجولتُهم ومعنوياتهم؛ بسبب التخنُّث والميوعة التي نشرَها اليهود في فرنسا، وأمَّا عما فعله اليهود في أمريكا فحدِّثْ ولا حرج.

اليهود بين القاهرة وبكين:

وبعد أن فشل اليهود في تدمير أخلاق الشعوب المسلمة بقوَّة الإغراء والتزيين، أخذوا يُحاولون القضاءَ عليها بقوَّة القانون.

فرَكبوا سيارات الأمم المتحدة، ورفعوا أعلامها، وجاؤوا إلى القاهرة في مؤتمر السكان، وقد أجمعوا أمرَهم وهم يمكرون، وكانَ كثيرٌ من الوفود المشاركة في هذا المؤتمر تفكر بعقول اليهود، وذلك بعد أن اخترقَ هؤلاء عقولهم وسرقوها، فأصبحتْ رُؤوسهم كجماجم الأموات لم يبقَ منها إلا عظامها.

وأعداء الإسلام يَعْرفون دائمًا من أين تُؤكَل الكتف؟

قال قائل منهم: "إنِ مطيَّتنا لإبعاد المسلمين عن دِينهم المرأة، وجَهلة المسلمين، فهم يُقدِّمون لنا

أدوارًا تفوق جهودنا، وما نبذله من أموال في التبشير بالمسيحية".

وبعد أن فشلت المؤامرة في القاهرة، تحرك الركب اليهودي إلى بكين، ومن خلفه الجماجم الخاوية، وأعلام الأمم المتحدة ترفرف فوق رؤوسهم؛ لتلطف من حرارة الحقد الذي ملأ قلوبهم، وأرسل عددٌ من البلاد الإسلامية وفودًا تشارك في مؤتمر بكين، في محاولة لمنع هذا الدمار أو التخفيف من آثاره.

وفي بكين ظهرت التطبيقات العملية لبروتوكولات حكماء صهيون، وفيها إلحاح اليهود على تدمير أخلاق العالم بأسره، واستخدام المرأة مطية لإفساد البشر.

وكان من أبرز النقاط التي اشتمل عليها برنامج بكين:

١- مطالبة الوالدين؛ بالتغاضي عن النشاط الجنسي للأبناء المراهقين عن غير طريق الزواج، واعتبار هذا النشاط أمرًا شخصيًا لا يحق لأيٍّ منهما التدخل فيه.

٢- مفهوم الأسرة؛ الذي يقرُّه الدين ليس إلا مفهومًا عقيمًا؛ لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية بين مختلف الأعمار، ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط، وفي داخل الإطار الشرعي، ولذلك ينبغي هدمُ الأسرة، وإطلاق الحريات الجنسية.

٣- ضرورة منح الشواذ حقهم في تكوين أسرة من بينهم؛ وهذا يعني أنه يمكن تكوين أسرة من رجلين بينهما علاقة جنسية (لواط)، أو امرأتين بينهما علاقة جنسية (سحاق).

وهذا يعني أيضًا أن اليهود يكفرون بجميع الرسل وجميع الرسالات.

٤- المساواة بين المرأة والرجل: في الوظائف والمواريث، وسائر شؤون الحياة مع تغيير القانون، الذي يقف دون ذلك، أيًا كان مصدره، ويعنون بذلك القرآن الكريم.

إن هذه التوصيات تدل في صراحة ووقاحة على أن اليهود يعملون ليل نهار؛ لتدمير البشرية، وضرب المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم، وهذا ليس بعجيب ولا غريب؛ لأنهم أئمة شياطين، وأعداء رب العالمين، وقتلة المرسلين.

أما الذي لا ينقضي منه العجب، فهو هذه الغفلة، وذلك النوم العميق، الذي أصاب جيلاً كاملاً من أمتنا، حتى أصبحنا أداة في أيدي أعدائنا لتخريب بيوتنا.

أيها القارئ الكريم:

لا شك أنك قد وقفت على الحقيقة، وأدركت حجم المؤامرة على الدين والعرض، فماذا أنت فاعل؟

إن الأسرة التي يريد أعداء الإسلام تدميرها هي أسرتك التي أوجب عليك الإسلام أن ترعاها وتصونها.

وإن حماية الأسرة وتربية الأبناء على الكتاب والسنة غاية يسعى إلى تحقيقها الآباء المؤمنون، والأمهات المؤمنات.

بقيت حقيقة أخيرة نسوقها إلى الكرام القارئين:

"من عقائد اليهود الفاسدة: أنهم يظنون أنفسهم شعب الله المختار، ويسعون بشتى السبل للسيطرة على غيرهم من شعوب العالم، وهم في ذلك لا يتورعون عن استخدام أقذر الوسائل؛ لإحكام سيطرتهم على أمم الأرض بالديون الباهظة، فمن محاولة السيطرة على اقتصاديات الدول عن طريق إشعال الحروب، إلى محاولة استخدام السحر والشعوذة في السيطرة على الأفراد والمجتمعات.

والخلاصة:

أن اليهود هم أساس البلاد، فعقيدتهم الباطلة مبنية على الإضرار بالآخرين، ولا حياة لهم إلا بذلك.

اغتيال رابين والصراع بين اليهود:

إن اليهود ينفردون بخصائص وصفات ليست في غيرهم من البشر، وقد نبه القرآن الكريم على ذلك في مواضع كثيرة من سوره وآياته.

ومن هذه الصفات: قول الحق سبحانه عنهم: «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» (الحشر: ١٤)، وهذا يعني أنك تنظر إلى اليهود، فتعتقد أنهم على قلب رجل واحد، وهم في الواقع يتصارعون صراعًا مريرًا فيما بينهم، كما قال الله عنهم: «بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» (الحشر: ١٤).

وفي ضوء هذه الحقيقة سنلقي الضوء على هذا الحادث الأخير - اغتيال رابين - الذي يعكس بوضوح حجم الصراع بين هؤلاء

القوم، الذين يُسِرُّون غيرَ ما يُعلنون، ويُبطنون غير ما يظهرون. إنَّ ثَمَّة حقيقةً هامة تقول: إنَّ قاتل رابين ليس متطرِّفًا، ولا إرهابيًا، بل هو منفِّذ - كما يقول - لأوامر الله. وهو يعني بذلك النصوص المحرَّفة في التوراة، والتي كتبها علماءُ اليهود بأيديهم، ثم قالوا: هي من عند الله. ففي سفر التكوين، في توراة اليهود: "في ذلك اليوم قَطَع الرب مع إبرام (إبراهيم) ميثاقًا قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات".

وبناءً على هذا النصّ أعلن علماءُ الدين اليهود (الحاخامات)، وزعماءُ وقادة اليهود، وحزبُ الليكود، والأحزاب الدينية - أنَّ فلسطين قد أعطاها لنا الرَّب، وقد أعلن بعض هؤلاء بعد اغتيال رابين أنه خائنٌ مستحقٌ للقتل؛ لأنه تنازل عن جزء من أرض فلسطين للعرب.

إنَّ رابين قد أعلن قبل موته بدقائق معدودة أنَّ على حزب الليكود وزعيمه أن يكُفَّ عن تحريض الجماهير على العُنف، ووقف عملية السلام بالفعل المباشر.

والحزبُ المشار إليه هو حزبٌ إرهابي متطرِّف، كان يحكم إسرائيل قبل حكومة رابين، وقد تمَّ التفاوض والصُّلح مع مصر في عهد هذه الحكومة الإرهابيَّة؛ مما يعني: أنَّه يُمكننا التفاوض والحوار مع الإرهاب في صورة أفراد أو تنظيمات.

إنَّ هذا القدر الذي ذكرْناه عن اغتيال رابين بيَّن لنا بوضوح وجلاء أنَّ الإرهاب والتطرُّف عند اليهود عقيدةٌ راسخة عند رجال الدين اليهود، والأحزاب اليمينية، ومعظم اليهود.

وقد أجرى التلفازُ الإسرائيليُّ مقابلةً مع أحد اليهود في إسرائيل، وسأله عن مشاعره بعد اغتيال رابين، فأجاب بأنَّه سعيد ومسرور جدًا بهذا النبأ. وكان الشعور بالسعادة موجودًا عند الكثيرين، وليس هذا الرجل فقط، ولم تنقل وسائل الإعلام من ذلك إلا شيئًا يسيرًا.

ومع ذلك فقد نادى بعضُ المسؤولين عندنا بضرورة التعاون للقضاء على الإرهاب في المنطقة. وهذا لا يُمكن أن يتمَّ بالطبع؛ لأنَّه يعني - ببساطة - قتل علماء وزعماء اليهود، ومعهم أكثر من (٦٠ ٪) من الشعب اليهودي؛ لأنَّهم إرهابيُّون، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وبعد قتل رابين حذَّر بعضُ المسؤولين في إسرائيل من خطر اندلاع حرب أهلية بين اليهود، وهذا التصريح يعكس حجم وخطورة الصِّراع بين اليهود.

وإذا كان ذلك كذلك، فإنَّ هذا يُثير تساؤلاً عن حقيقة هذا الصِّراع، وضرورة إلقاء الضَّوء عليه.

إنَّ مؤسس دولة إسرائيل هو دافيد بن جوريون، وقد كان رئيسًا للحكومة منذ قيام إسرائيل عام (١٩٤٨م)، وقد استمرَّ ثلاثة عشرَ عامًا، وقد حاول ابن جوريون أنْ يعزل الدين عن الدولة، وأن يُقيم حكومة علمانية، وفي ذلك يقول: "كنتُ مصمِّمًا على أن تكون إسرائيل دولة علمانية، تحكُمها حكومة علمانية، وليستْ دينية، وحاولتُ أن أُبقي الدِّين بعيدًا عن الحكومة والسياسة بقدر المستطاع".

ومنذ اللحظة الأولى لقيام إسرائيل بدأ الصِّراع بين الحكومة، ورجال الدِّين، فقد صرَّح ابن جوريون منذ البداية بقوله: "على اليهوديِّ من الآن فصاعدًا ألا ينتظرَ التدخُّل الإلهي لتحديد مصيره، بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل الطبيعيَّة العادية مثل (الفانتوم والنابالم)، وفي مناسبة أخرى قال ابن جوريون: "إنَّ الجيش الإسرائيلي هو خيرُ مفسِّر للتوراة".

وهاجم ابن جوريون الدِّين، ونادى بعَزْله عن الحياة السياسية، فقال: "إنَّ الدين هو وسيلة مواصلات فقط؛ ولذلك يجب أن نبقى فيها بعض الوقت لا كلَّ الوقت".

كما هاجم رجال الدين اليهودي، وشوَّه صورتهم، فقال: "إنَّ حياة اليهود لو تُركت لحاخامات اليهود، لظلُّوا حتى الآن كلابًا ضالة في كل مكان، يضربهم الناس بالأقدام، ويحتمي اليهود من أقدام الأغلبية الساحقة لهم في كل مكان بأحلام العودة إلى أرض الميعاد والأجداد".

ومنذ قيام إسرائيل دبَّ الصِّراع واستمرَّ بين الصُّهيونية العلمانية، والصهيونية الدِّينية، وأخذ الصراع في داخل إسرائيل محاور مختلفة؛ بسبب اختلاف الدِّين، والجنسية، والانتماء، والفكر.

وللحديث بقية إن شاء الله.

قصة الافتراءات الجهمية على حديث الإسراء والمعراج المتواتر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد: فنواصل في هذا التخريج تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه الافتراءات والتي تطعن في صحيح البخاري بل وتنكر حديث الإسراء والمعراج، الذي هو في أعلى درجات الصحة؛ لأنه حديث متفق عليه، بل متواتر كما سنبين من التخريج والتحقيق.

إعداد الشيخ علي حشيش

أولاً: أسباب هذه الافتراءات:

١- هذه الافتراءات ذكرها الدكتور أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جامعة القاهرة في كتابه «موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية» - الطبعة الثانية عشرة- مكتبة النهضة المصرية- تحت باب «الإسراء والمعراج» من صفحة (٢٢٩ إلى ٢٤٩).

٢- أهم هذه الافتراءات التي جاءت في هذا الكتاب:

الفرية الأولى: إنكاره صفة العلو واعتقاده أن الله في كل مكان.

الفرية الثانية: إنكاره استفتاح جبريل عليه السلام للسماوات السبع.

الفرية الثالثة: إنكاره سؤال الملائكة لجبريل عليه السلام: ومن معك؟

الفرية الرابعة: إنكاره أن موسى عليه السلام قال للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»؛ عندما فرضت الصلاة خمسين.

الفرية الخامسة: إنكاره للبراق الذي ركبه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفرية السادسة: إنكاره صحة الرواية وإقراره أن في البخاري ومسلم أحاديث موضوعة وإسرائيليات مدسوسة.

قلت: ولو كان هذا اعتقاد الدكتور وحده لتركته، ولكن حمل آلاف الطلاب اعتقاده في تكذيب رسول الله فيما ثبت عنه حيث طعن في صحيح البخاري كما سنبين، وأنه درّس هذا المعتقد لآلاف الطلاب من طلبة كلية دار العلوم حتى توفاه الله سبحانه.

ثانيا: تواتر حديث الإسراء والمعراج:

أورده الإمام السيوطي في «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» ح(٩٤) قال: كتاب المناقب حديث «الإسراء والمعراج».

١- أخرجه الشيخان: عن أنس، ومالك بن صعصعة، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله.

٢- وأخرجه الترمذي: عن بريدة، وحذيفة بن اليمان.

٣- وأخرجه النسائي وأحمد: عن ابن عباس.

٤- وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند: عن أبي بن كعب.

٥- والبيهقي في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري، وشداد بن أوس، وأبي هريرة، وعائشة.

٦- وابن عرفة في جزئه: عن ابن مسعود.

٧- والبزار عن: علي بن أبي طالب.

٨- وابن مردويه في «تفسيره»: عن عمر بن الخطاب، وأبي حبة الأنصاري، وأبي ليلى الأنصاري، وأبي الحمراء، وأبي أيوب، وأبي أمامة،

وسمرة بن جندب، وابن عمرو، وصهيب، وأسماء بنت أبي بكر.

٩- وسعيد بن منصور في «سننه»: عن عبد الرحمن بن قرط.

١٠- والطبراني: عن أم هانئ.

١١- وابن سعد: عن أم سلمة.

فائدة: وبهذا يكون حديث «الإسراء والمعراج» أورده الإمام السيوطي في حديث سبعة وعشرين صحابيًا نقلهم الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ح(٢٥٨) من حديث قصة: «الإسراء والمعراج»، ثم قال: وعدّ الحافظ الشامي في «معراجه» الذين رووا قصة الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم فبلغوا تسعة وثلاثين وعدّ منهم ممن لم يذكره السيوطي هنا.

(٢٨) الصحابي: أسامة بن زيد، (٢٩) وبلال بن حمامة، (٣٠) وبلال بن سعد، (٣١) وسهل بن سعد، (٣٢) وابن عمر، (٣٣) وابن الزبير، (٣٤) وابن أبي أوفى، (٣٥) وعبد الله بن أسعد بن زرارة، (٣٦) وعبد الرحمن بن عايس، (٣٧) والعباس بن عبد المطلب، (٣٨) وأبو بكر، (٣٩) وعثمان، (٤٠) وأبو الدرداء، (٤١) وأبو سفيان بن حرب، (٤٢) وأبو سلمة، (٤٣) وأبو سلمى الراعي، (٤٤) وأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزاد في «شرح المواهب» نقلاً عن ابن دحية (٤٥) عياض.

ثم قال: «فمجموع ذلك خمسة وأربعون صحابيًا»، وفي «شرح المواهب» ما نصه وقد تواترت الأخبار بأنه صلى الله عليه وسلم أسري به على البراق. اهـ.

ثم قال الكتاني: «الإسراء متواتر وكونه على البراق كذلك». اهـ.

فائدة أخرى: وفي حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما والذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٣٨٨٧)، وأخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» ح(١٦٢) فالحديث متفق عليه فهو في أعلى أقسام الصحيح كما في «تدريب الراوي» (١٢٢/١) للإمام السيوطي وفوق ذلك الحديث مطلقًا متواتر من حديث خمسة وأربعين صحابيًا، وقال الشيخ أحمد شاكر في «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» ص (٢٩): «الحديث المتواتر لفظًا أو معنى، لأنه قطعي الثبوت لا خلاف في هذا بين أهل العلم». اهـ.

ولقد بوّب الإمام البخاري في «صحيحه» بابًا ترجم له «باب المعراج» رقم (٤٢) في كتاب «مناقب الأنصار» كذا في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٢٤١/٧) ح(٣٨٨٧) للحافظ ابن حجر.

ولسائل أن يسأل ما ملائمة حديث مالك ابن صعصعة لترجمة الباب:

لأن حديث مالك بن صعصعة ربط بين الإسراء والمعراج فقد قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢٣٧/٧): «إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك». اهـ.

وتحت باب «المعراج» أخرج الإمام البخاري حديث مالك بن صعصعة في أكثر من أربعين سطرًا، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبو آدم، فسلم عليه فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد السماء الثانية فاستفتح... واستمر الصعود والاستفتاح والفتح والترحيب من سماء إلى سماء حتى صعد إلى السماء السابعة، وكان الاستفتاح والفتح والترحيب من الأنبياء إبراهيم... ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم رفعت إلى سدرة المنتهى»... ثم فرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى (هو في السماء السادسة)- فقال: بمَ أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، واني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت....» الحديث.

ثالثا: الافتراءات الجهمية على حديث الإسراء والمعراج المتواتر:

لقد بينا في أعلى درجات الصحة بل التواتر عروج النبي صلى الله عليه وسلم وصعود السماوات

السبع حتى بوب الإمام البخاري بابًا ترجم له «باب المعراج»، كما بينا آنفًا، ولكن الدكتور أحمد شلبي أنكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم فقال في كتابه «موسوعة التاريخ الإسلامي» ص (٢٣٨):

«إن الرواية تصور الله جل وعلا كأنه هناك في مكان يسعى له محمد.... ثم يقول الدكتور: ويقول علماء التوحيد: إن الله في كل مكان، أو ينزهونه جل وعلا عن المكان فيقولون: إن الله ليس له مكان». اهـ.

رابعًا: الرد على هذا الافتراء:

إن ما ذكره الدكتور هو مذهب الجهمية الذين ذهبوا إلى أن الله تعالى في كل مكان، وليس قول علماء التوحيد من أهل السنة والجماعة، بل افتراء عليهم.

وإلى الدكتور ومن على مذهبه أقوال علماء التوحيد من أهل السنة والجماعة:

فهذا هو الإمام أحمد بن حنبل حامل لواء السنة والجماعة والصابر على المحنة، يقول في رسالته «الرد على الجهمية» ص (١٥٥، ١٥٦)، ط: دار الثبات:

«وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله سبحانه وتعالى حين زعم أنه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟ فيقول: نعم. فقال له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا عن نفسه؟ فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل:

الأول: إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وابليس في نفسه.

الثاني: إن قال: خلقهم خارجًا عن نفسه، ثم دخل فيهم كفر أيضًا حين زعم أنه دخل في كل مكان فحش وقذر.

الثالث: وإن قال: خلقهم خارجًا عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة». اهـ.

خامسًا: إنكاره صفة العلو:

وإن تعجب فعجب قول الدكتور: «إن صفة العلو مردودة تمامًا بنص القرآن وبحكم الفكر الإسلامي».

ثم يذكر الدكتور النصوص القرآنية التي ينفي بها صفة العلو في كتابه «موسوعة التاريخ الإسلامي» ص (٢٣٨)، وفي كتابه الآخر «الإسراء والمعراج» ص (٢٩) حيث يقول: «إن الله في كل مكان والآيات القرآنية التالية توضح ذلك تمام الوضوح: (فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)(البقرة: ١٨٦)، (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) (المجادلة: ٧)».

سادسًا: الرد على منكر صفة العلو:

إن الدكتور كما بينا ينكر عروج النبي صلى الله عليه وسلم وصعوده السماوات السبع، بل ويعتقد أن الله ليس فوق السماوات، بل وينكر صفة العلو لله يظهر ذلك مما أوردناه آنفًا من قوله: إن الرواية تصور الله جل وعلا كأنه هناك في مكان يسعى له محمد... حتى قال في كتابه ص (٢٣٩): «واعتقادي أن هذه القصة من الإسرائيليات». اهـ.

ثم افترى وقال: «أقرر أن هناك أحاديث موضوعة وجدت طريقها إلى البخاري ومسلم» اهـ.

قلت: كل هذه الافتراءات متولدة من معتقده الجهمي ويرد على هذا المعتقد شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٥٨/٥): «من اعتقد أنه ليس فوق السماوات إله يُعبد ولا على العرش رب يُصلى له ويُسجد، وأن محمدًا لم يعرج به إلى ربه ولا نزل القرآن من عنده: فهو معطل فرعوني ضال مبتدع». اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح العقيدة الواسطية» (٤٠٤/١): «لا تناقض بين العلو وبين المعية؛ لأن الله جمع بينهما فيما وصف به، ولو كان يتناقضان ما صح أن يصف بهما نفسه».

ولذلك قال الشيخ حافظ الحكمي في «سلم الوصول»:

وذكره للقرب والمعية
لم ينف العلو والفوقية
فإنه العلي في دنوه
وهو القريب جل في علوه

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ علي حشيش**

(٩٨٥): «عودوا المرضى، ومروهم فليدعوا لكم؛ فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٤٩) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «طس عن أنس».

قلت: «طس» ترمز إلى «المعجم الأوسط للطبراني».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث «موضوع».

مع بيان حد هذا المصطلح وتطبيقه على هذا الحديث؛ حتى يجد طالب العلم أيضًا في هذا البحث دراسة لعلم «الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج:

الحديث أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧/٧) ح(٦٠٢٤) قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الشافعي، قال: حدثنا القاسم بن هشام السمسار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن قيس الضبي، قال: أخبرنا هلال بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس مرفوعًا.

ثانيا: التحقيق:

١- قال الحافظ الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبد الرحمن بن قيس». اهـ. إذن لا توجد متابعات من عبدالرحمن بن قيس فما فوقه.

فائدة: هذه العبارة تدل على سعة اطلاع الحافظ الطبراني على طرق الحديث وتمييز الطرق التي اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوي عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواة عن بعض، وهذا الأمر لا ينقاد إلا لإمام جهبذ من جهابذة هذا الفن الدقيق الواسع، وقد تعب كثيرًا في إخراج هذا الكتاب على هذه الطريقة لذلك كان يقول: «هذا الكتاب روحي» ساعده على ذلك أن الله فسح في عمره (٢٦٠- ٣٦٠هـ).

فالحديث غريب وفيه علتان:

الأولى: عبد الرحمن بن قيس الضبي: قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٧٨/٢/٢): أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلي قال: سألت أبي عن عبد الرحمن بن قيس الضبي الزعفراني فقال: «ليس حديثه بشيء، متروك الحديث»، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال: «ذهب حديثه»، وقال سئل أبو زرعة عنه فقال: «كان كذابًا». اهـ.

وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٩٤٤/٥٨٣/٢): كذَبه ابن مهدي وأبو زرعة، وقال البخاري: «ذاهب حديثه». اهـ.

العلة الأخرى: هلال بن عبد الرحمن: قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٥٦/٣٥٠/٤): «منكر الحديث». اهـ. ثم أورد ثلاثة أحاديث له عن عطاء بن ميمون وغيره ثم قال: «كل هذا مناكير لا أصول لها ولا يتابع عليها». اهـ.

ثالثا: الاستنتاج:

١- نستنتج من التخريج والتحقيق أن هذا الحديث حديث غريب لا يُروَى عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرَّد به عبدالرحمن بن قيس الكذاب؛ كان يكذب وكان يضع الحديث ذاهب الحديث ليس حديثه بشيء، وشيخه هلال بن عبد الرحمن: منكر الحديث. اهـ.

٢- وبتطبيق هذا الاستنتاج على قول الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٤٤): حيث قال: «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو (الموضوع)». اهـ.

إذن هذا الحديث ينطبق عليه تمام الانطباق أنه «حديث موضوع».

حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين

الحلقة 3

ما يقترفه معشر يهود الآن من إجرام .. سيكون وبالاً عليهم وسببًا لزوالهم بموجب ما جاء في أسفارهم

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فما يقع في زماننا من الكيان الصهيوني من كفر بالله ورسله وبحق عباده المؤمنين؛ ومن احتلال بغيض لواحدة من ديار الإسلام؛ وانتهاكات بحق الأقصى المبارك.. هو من جنس ما فعله معشر يهود من قبل؛ وكان فيما مضى وطوال تاريخهم العاجّ والمكتظ بالفساد سبب زوالهم وطردهم واحلال غضب الله ولعناته عليهم؛ مصداقا لقوله: «وإن عدتم عدنا» (الإسراء: ٨).. والتاريخ يعيد نفسه، ولكن أين فيهم من يأخذ من ماضيه العظة والعبرة؟

والقصة من بدايتها أنه وعلى إثر إتيان الله إبراهيمَ رشده - وكان عالما ببرّه وإيمانه - قد منحه أرض الميعاد وجعلها في بنيه وذريته من إسحاق وإسماعيل قائلا له: "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب".. هكذا كانت البداية على حد ما جاء في سفر التكوين - أحد أسفار العهد القديم في الكتاب المقدس - الإصحاح ١٢ العدد ١ - ٤.

ولقد أوضح القرآن ما أوضحته الكتب السماوية الأخرى، أن استخلاف الأرض - ولاسيما أرض الميعاد - لأيٍّ، له ثمن لا بد من دفعه وتحمله، وينحصر ذلك الثمن - باختصار شديد - في عبادة الله وحده وحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه واجتناب نواهيه، وذلك قوله سبحانه: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا» (النور: ٥٥)، ولا يبعد أن تكون الإشارة بالاستخلاف لمن قبلنا في الآية، لبني إسرائيل.. بل هذا ما جزم به القرطبي وابن كثير وغيرهما، وترجح لدى الألوسي وغيره.

كما ذكر لنا المولى في غير ما سورة، تفاصيل ما كان لذرية إسرائيل بن إسحاق من تمكن إبان فترة صلاحهم، وكيف أن الله أورثهم - بعد أن كانوا مستضعفين - مشارق الأرض ومغاربها، وبوأهم - بعد ذل وقهر من فرعون وملئه - مبوأ صدق، ومكنهم من أرضهم وديارهم وجناتهم، وإن كانت بالنسبة لبني إسرائيل تجربة قاسية وامتحانًا صعبًا، كشف عن جزع وقلق في حاضرهم وعلى مستقبلهم أحسَّ بهما موسى عليه السلام حينما بثوا شكواهم إليه من جراء ما عايشوه من بطش قال الله في شأنه: «وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن

قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » (الأعراف: ١٢٧- ١٢٩).

١- وعد الله لبني إسرائيل بتوريث الأرض كان مشمولاً بالوعيد إذا نكثوا عهده وقد نكثوه:

والأمر بإيجاز: أنه لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حُجج الله وبراهينه على فرعون وملئه الذين كانوا مع ذلك يكابرون ويعاندون.. دعا عليهم بقوله: « رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ » (يونس: ٨٨).

وشاء الله أن يجيب دعاءه فأمره أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من مصر وأن يمضي بهم خفية حيث يُؤمر، دون إذن من فرعون الأمر الذي أثار حفيظته، وكان هذا الفرعون الجبار العنيد قد تسلط عليهم، يستعملهم في أخس الأعمال ويكدُّهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتِّل مع ذلك أبناءهم ويستحي نساءهم إهانة لهم واحتقاراً، وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه، فيكون هلاكه وذهاب دولته على يديه.

وكان أن أغرقهم الله في اليم الذي فَرَقه لموسى فجاوزه هو ومن معه من بني إسرائيل، وأقرَّ أعينهم وهم ينظرون إلى فرعون والى جنده وقد أغرقوا جميعًا في صبيحة يوم واحد، كما قال تعالى: « وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم. واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون» (البقرة: ٤٩، ٥٠).

وأورثهم بعد ذلك ديارهم وأموالهم وملكهم بعد أن أخرج الله منها فرعون وملأه بلا رجعة وذلك إبان لحاقهم بموسى وبمن معه، كما قال تعالى: « فأخرجناهم من جنات وعيون. وكنوز ومقام كريم. كذلك وأورثناها بني إسرائيل» (الشعراء: ٥٧- ٥٩)، وقال: « كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قومًا آخرين» (الدخان: ٢٥- ٢٨).. وأسبغ الله عليهم بعد ذلك نعمه الظاهرة والباطنة والدينية والدنيوية، واستقرت الدولة الموسوية على بلاد مصر بكمالها - وإن لم يعودوا إليها بعد خروجهم منها - وبلاد الشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه.

ولكن ظلت نفوس بني إسرائيل مع كل ذلك، مشرئبة ومتطلعة وطالبة بلاد المقدس التي قصدها من قبل جدُّهم إبراهيم عليه السلام، مهاجراً من وطنه الأصلي بالعراق ووعدهم - ضمن من وعدهم - بها.. وجاءت الأوامر إثر ذلك تترا على يد وعلى لسان نبيهم موسى عليه السلام - على ما ورد في نصوص كتبهم من نحو ما جاء في الإصحاح ٦ العدد ١٧، ١٨ من سفر التثنية - أن "احفظوا - أي: إن كنتم تريدون ذلك - وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها".

وكان ضمن هذه الوصايا بعد عبادة الله والإحسان إلى الوالدين وحفظ يوم السبت، ما جاء في سفر التثنية ٥: ١٦- ٢١ "ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك - وعبارة سفر الخروج ٢٠ (لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك) -: لا تقتل. ولا تزن. ولا تسرق. ولا تشهد على قريبك شهادة زور. ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله..."إلخ.

وما جاء في الإصحاح السابع منه في العدد ١١- ١٦"احفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها. ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك. ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك.. مباركًا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك. ويَرُدُّ الربُّ عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التي عرَفتَها، لا يضعها عليك بل يجعلها على كل مبغضيك. وتأكل (أي وتُفني وتُهلك) كل الشعوب الذي الرب إلهك يدفع إليك".

ومما يتضح منه كذلك أن الوصية بالوعد

بتوريث الأرض كانت متضمنة ومشمولة بالوعيد إذا انقلبوا؛ سواء كان هذا أيام موسى أو من أعقبه من الأنبياء؛ ما جاء على لسان موسى عليه السلام في الإصحاح ٤ من العدد ٢٥- ٢٧من سفر التثنية، ونصه: "إذا ولدتم أولادًا، وأولاد أولاد، وأطلتم الزمان في الأرض؛ وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتًا صورة شيء ما، وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تَبيدون سريعًا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها. لا تطيلون الأيام عليها بل تَهلكون لا محالة. ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عددًا قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها".

وما جاء في الإصحاح ٨ العدد ١٧- ٢٠ من نفس السفر: "لئلا تقول في قلبك: قوتي وقدرةُ يديَ اصطنعتْ لي هذه الثروة. بل اذكر الرب إلهك أنه هو الذي يعطيك قوةً لاصطناع الثروة لكي يفي بعهده الذي أقسم لآبائك كما في هذا اليوم. وإن نسيت الرب إلهك وذهبتَ وراء آلهة أخرى وعبدتَها وسجدتَ لها، أشهد عليكم اليوم أنكم تَبيدون لا محالة. كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم؛ كذلك تَبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم".

وما جاء في سفر التثنية ٣٠: ١٥- ٢٠ على لسان موسى أيضًا: "انظر، قد جعلتُ اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر. بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه، لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها. فإني أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون، لا تطيل الأيام على الأرض التي أنت عابر الأردن لكي تدخلها وتمتلكها. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك والذي يُطيل أيامك لكي تسكن على الأرض التي حلف الرب لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيهم إياها".

وما جاء في سفر اللاويين ٢٠: ٢٢- ٢٤ "تحفظون جميع فرائضي وجميع أحكامي وتعملونها لكيلا تقذفكم الأرض التي أنا آت بكم إليها لتسكنوا فيها. ولا تسلكون في رسوم الشعوب التي أنا طاردهم من أمامكم، لأنهم قد فعلوا كل هذا فكرهتُهم. وقلتُ لكم ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضًا تفيض لبنًا وعسلاً، أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب".

وليس هناك أكثر صراحة في تعليق الجواب على الشرط وتوقف التمكين على أمر الطاعة وحفظ الوصايا، مما جاء في سفر الملوك الأول ٩: ٣- ٩ في مخاطبة الله لسليمان ابن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وفيه:

"قال له الرب قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرعتَ به أمامي، قدستُ هذا البيت الذي بنيتَه لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام. وأنت إن سلكتَ أمامي كما سلك داود أبوكَ بسلامة قلب واستقامة، وعملت حسبَ كلِّ ما أوصيتُك وحفظتَ فرائضي وأحكامي. فإني أقيم كرسيَّ ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمتُ داود أباك قائلاً: لا يعدم لك رَجل عن كرسيّ إسرائيل. إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي - فرائضي - التي جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها. فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلاً وهزأةً في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمر عليه يتعجب ويَصْفُرُ ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت. فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر".

والسؤال: هل وفى بنو إسرائيل بعهودهم

ومواثيقهم التي وردت على ألسنة أنبيائهم ورسلهم؟ وهل نفذوا تعاليم دينهم؟ وهل التزموا بأوامر من بُعثوا لهدايتهم؟ وهل تغير حال أشياعهم - في واقعنا المعاصر - عن حال أسلافهم في الأزمان الغابرة؟

٢- اليهود كعادتهم نقضوا فيما مضى عهودهم فاستحقوا وعيد الله بزوالهم

إن الجواب المنصف عن الأسئلة - السالفة الذكر - والبعيد عن كل تعصب، يدعونا لأن نسوق - لإثبات نقض سوادهم الأعظم لجميع المواثيق وخرقهم لجميع العهود وعصفهم بجميع الأوامر وتآمرهم على جميع الأنبياء - طرفا مما جاء في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم، ذلك أن ما أحدثه الله لبني إسرائيل من نعم وتمكين ومن إنجاء وتفضيل على العالمين، كان ينبغي أن يقابل بالشكر والاعتراف بالجميل والانكباب على عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

لكن ما حدث منهم كان على العكس من ذلك، فقد وقع منهم ما أحس به موسى عليه السلام وما تخوف منه، فما أن تجاوزوا معه البحر قاصدين ما اشرأبت إليه نفوسهم وتطلعت إليه أفئدتهم من دخول الأرض المقدسة، حتى تناسوا كل ما أوصاهم به ربهم على لسانه، وراحوا وهم في صحبته يؤملون أنفسهم بعبادة الأصنام، بل وشرعوا - دون ما حياء ولا استحياء - يطلبون ذلك منه، وفي ذلك يقول سبحانه: «وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغيكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين» (الأعراف: ١٣٨- ١٤٠).

وبعد أن قال لهم موسى كلمته ووعظهم بأن ما يطلبونه يعد جهلاً فاضحًا يجب أن يربأوا بأنفسهم عنه، وبعد أن أوصاهم وأرشدهم لما فيه صلاحهم، تعجل الذهاب لملاقاة ربه تحرقًا وشوقًا وطلبًا لرضاه، واستخلف عليهم أخاه هارون ورجاه الترفق بهم ووصاه بالإصلاح وبجمع الكلمة وعدم الإفساد، لكن أنى لهارون ولا لمئات أو حتى لآلاف من مثله أن تفلح دعوتهم مع قوم يجرى الكفر وإغاظة الرب به في نفوسهم مجرى الدم في العروق.

لقد تحدثت جميع الكتب السماوية عما جرى من بني إسرائيل عقب ذلك وذكرت أنه ما أن ذهب موسى لميقات ربه حتى أعلمه سبحانه من هناك، بأن قومه اتبعوا السامري واتخذوا العجل معبودًا لهم من دون الله، وذلك بعد أن فشلت معهم دعوة هارون، وبعد قوله لهم: «يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري» (طه: ٩٠)، وبعد أن كان جوابهم له: «لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى» (طه: ٩١).

الأمر الذي أوقع هارون في حرج شديد مع أخيه موسى، ظنًا من الأخير أن هارون قصَّر في نهيهم عن عبادة العجل؛ أو لم يحسن تنفيذ ما كلفه به كليم الله في قوله: «اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين» (الأعراف: ١٤٢)، أو خشية أن يقول له موسى: «فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي» (طه: ٩٤).

وكان حاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل! وذلك بعد أن صاغوه من الذهب والحلي الذي استلبوه من مصر واصطحبوه معهم، وكان هارون قد أشار عليهم أن يلقوا به في حفرة فيها نار فيجعلونه سبيكة واحدة؛ حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء على حد ما ذكر ابن كثير في تفسيره، لكن كان ما حكاه القرآن في قوله سبحانه: «فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا أفطال عليكم العهد»، بنسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قدم، «أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي» (طه: ٨٦)..

وكان مقت الله وغضبه الذي أصابهم بإرادتهم وافترائهم وعصيانهم، أن أذلهم الله ولم يقبل منهم توبة حتى يقتل بعضهم بعضًا كما قال تعالى: «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم» (البقرة: ٥٤).

وللحديث صلة بإذن الله.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التربية بالحب

إعداد الشيخ/ عادل شوشة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإظهار الحب والمودة للأبناء له عظيم الأثر في نجاح العملية التربوية لذا ينبغي ألا ينشغل المربي بأي شاغل من عمل خارج المنزل أو خلافات أسرية أو غير ذلك عن إحاطة الأبناء بمشاعر الحب والمودة، وإذا وجد الحب تمت التربية بسهولة لأن "المحب لمن يحبُ مطيع".

لذا سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهديه العملي والقولي إظهار المودة والحب للأبناء من خلال صور متعددة على المربي أن يعيها ويحرص على تطبيقها.

صور المحبة والحنان:

أ- تقبيل الصغير:

تقبيل الأطفال له أثر فعال في تحريك مشاعرهم وتسكين غضبهم وهو دليل رحمة ومحبة للطفل ودليل تواضع من المربي معهم. ويشرع للوالدين تقبيل ولدهما، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل فاطمة، وكان أبو بكر يقبل عائشة، عَنْ عَائشة أمِّ المُؤْمنينَ قالَتْ: ما رَأيْتُ أحَدًا أشْبَهَ سَمْتًا ودَلًّا وَهَدْيًا برَسُول الله في قيامها وقُعُودها منْ فاطمَةَ بنْت رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وكَانَتْ إذا دَخَلَتْ عَلى النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَامَ إلَيْهَا فقَبَّلَهَا وأجْلَسَهَا في مَجْلسه. (أخرجه البخاري (٣٩١٧)).

وعَنْ عَائشَةَ قَالَتْ: قَدمَ نَاسٌ منَ الأعْرَاب عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أتُقَبِّلُونَ صبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالُوا: لَكنَّا وَالله مَا نُقَبِّلُ! فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: وَأمْلكُ إنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ منْكُمُ الرَّحْمَةَ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٩٩٨) ومسلم في "صحيحه" (٢٣١٧)).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ الأقْرَعَ بْنَ حَابسٍ أبْصَرَ النَّبيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ الحَسَنَ، فَقَالَ: إنَّ لي عَشَرَةً منَ الوَلَد مَا قَبَّلْتُ وَاحدًا منْهُمْ! فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: إنَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٩٩٧) ومسلم في "صحيحه" (٢٣١٨)).

ب - من رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالصغار:

عَنِ البَرَاء قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ وَاضعًا الحَسَنَ بْنَ عَليٍّ عَلَى عَاتقه وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أحبُّهُ فَأحبَّهُ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٧٤٩) ومسلم في "صحيحه" (٢٤٢٢)).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طائفَةٍ مِنَ النَّهارِ لا يُكَلِّمُني ولا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جاءَ سُوقَ بَني قَيْنُقاع، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أتى خِباءَ فاطِمَةَ، فَقالَ: أثَمَّ لُكَعُ؟ أثَمَّ لُكَعُ؟ يَعْني حَسَنًا، فَظَنَنَّا أنَّهُ إنَّما تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لأنْ تُغَسِّلَهُ وتُلْبِسَهُ سِخابًا، فَلَمْ يَلْبَثْ أنْ جاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما صاحِبَهُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُ فأَحِبَّهُ، وأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢١٢٢)، ومسلم في "صحيحه" (٢٤٢١)).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ قالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يُصَلِّي فإذا سَجَدَ وَثَبَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ عَلى ظَهْرِهِ، فإذا أرادُوا أنْ يَمْنَعُوهُما أشارَ إلَيْهِمْ أنْ دَعُوهُما، فإذا قَضَى الصَّلاةَ وضَعَهُما في حَجْرِهِ. قالَ: «مَنْ أحَبَّني فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ. (إسناده حسن: أخرجه أبو يعلى (٥٠١٧)).

وعَنْ زُهَيْرِ بْنِ الأقْمَرِ قالَ: بَيْنَما الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَخْطُبُ بَعْدَما قُتِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذْ قامَ رَجُلٌ مِنَ الأزْدِ آدَمُ طُوالٌ فَقالَ: لَقَدْ رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضِعَهُ في حَبْوَتِهِ يَقُولُ: " مَنْ أحَبَّني فَلْيُحِبَّهُ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ "، ولَوْلا عَزْمَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حَدَّثْتُكُمْ. (إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٢٣١٠٦)).

وعَنِ الحَسَنِ: سَمِعَ أبا بَكْرَةَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى المِنْبَرِ، والحَسَنُ إلى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إلى النَّاسِ مَرَّةً وإلَيْهِ مَرَّةً، ويَقُولُ: ابْني هَذا سَيِّدٌ، ولَعَلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمينَ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٧٤٦)).

ومن رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمله لأمامة بنت ابنته في الصلاة، عَنْ أبي قَتادَةَ الأنْصارِيِّ: أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يُصَلِّي وَهُوَ حامِلٌ أُمامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ، بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأبي العاصِ بْنِ رَبيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فإذا سَجَدَ وَضَعَها، وإذا قامَ حَمَلَها. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥١٦)، ومسلم في "صحيحه" (٥٤٣)).

ومن رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخفيفه الصلاة لما سمع بكاء الصبي رحمة به وشفقة على أمه، عَنْ أبي قَتادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: إنِّي لأقُومُ في الصَّلاةِ، أُرِيدُ أنْ أُطَوِّلَ فِيها، فأسْمَعُ بُكاءَ الصَّبِيِّ فأتَجَوَّزُ في صَلاتي؛ كَراهِيَةَ أنْ أشُقَّ عَلى أُمِّهِ. (أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٠٧)).

ج- التحنن للطفل بوضعه في حجره:

عَنْ خالِدِ بْنِ مَعْدانَ قالَ: وَفَدَ المِقْدامُ بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وعَمْرُو بْنُ الأسْوَدِ، ورَجُلٌ مِنْ بَني أسَدٍ مِنْ أهْلِ قِنَّسْرِينَ إلى مُعاوِيَةَ ابْنِ أبي سُفْيانَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقالَ مُعاوِيَةُ لِلْمِقْدامِ: أعَلِمْتَ أنَّ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ تُوُفِّيَ؟، فَرَجَّعَ المِقْدامُ. (أيْ: قالَ: إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ. عون المعبود- (ج ٩ / ص ١٦٦)). فَقالَ لَهُ رَجُلٌ: أتَراها مُصِيبَةً؟، فَقالَ لَهُ: ولِمَ لا أراها مُصِيبَةً؟، " وقَدْ وَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- في حِجْرِهِ فَقالَ: هَذا مِنِّي، وحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ. (أبو داود (٤١٣١)، " قال شعيب الأرناؤوط ": إسناده ضعيف، "صحيح الجامع "(٣١٧٩)، الصحيحة: (٨١١)). (أيْ: الحَسَنُ يُشْبِهُني، والحُسَيْنُ يُشْبِهُ عَلِيًّا، وكانَ الغالِبُ عَلى الحَسَنِ الحِلْمُ والأناةُ كالنَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- وعَلى الحُسَيْنِ الشِّدَّةُ كَعَلِيٍّ. عون المعبود (ج ٩ / ص ١٦٦))

د- مسح النبي صلى الله عليه وسلم خدي الولدين حنانًا منه:

عَنْ جابِرِ بْنِ سَمُرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قالَ: " صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- صَلاةَ الأُولى، ثُمَّ خَرَجَ إلى أهْلِهِ وخَرَجْتُ مَعَهُ، فاسْتَقْبَلَهُ وِلْدانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أحَدِهِمْ واحِدًا واحِدًا، قالَ: وأمَّا أنا فَمَسَحَ خَدِّي، فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ رِيحًا، كأنَّما أخْرَجَها مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ. (هي السَّفَطُ الَّذي فيه مَتاعُ العَطَّارِ. النووي (ج ٨ / ص ٤٠)) ". (أخرجه مسلم (٢٣٢٩)).

ه- إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم باكورة الثمر للأطفال بعد دعائه بالبركة:

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يُؤْتَى بأوَّلِ الثَّمَرِ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا في مَدِينَتِنا، وفي ثِمارِنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعِنا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ، ثُمَّ يُعْطِيهِ أصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الوِلْدانِ. (أخرجه مسلم (١٣٧٣)).

- وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قالَ: " رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- إذا أُتِيَ بِباكُورَةِ الفاكِهَةِ، وَضَعَها عَلى عَيْنَيْهِ، وعَلى شَفَتَيْهِ، ثُمَّ يُعْطِيها مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصِّبْيانِ". (أخرجه

(البيهقي في الدعوات الكبير) ٥١٤، وانظر: صحيح الجامع: ٤٦٤٤.).

و- الرِّفْقُ بالأطفال والصَّبْرُ على ما يحْدُثُ منْهُمْ وعدمُ مُؤاخذتهمْ لعدم تكْليفهم:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ، فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ، فَبَالَ عَلَيْهِ فَدَعَا بِمَاءٍ، فَأَتْبَعَهُ بَوْلَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ.. (أخرجه مسلم (٢٨٦))

وَعَنْ أَبِي السَّمْحِ- رضي الله عنه- قَالَ: كُنْتُ خَادِمَ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- فَجِيءَ بِالْحَسَنِ أَوِ الْحُسَيْنِ، فَبَالَ عَلَى صَدْرِهِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَغْسِلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى- صلى الله عليه وسلم-: "رُشَّهُ، فَإِنَّهُ يُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ، وَيُرَشُّ مِنْ بَوْلِ الْغُلَامِ". (صحيح: أبو داود (٣٧٦)، وانظر: "صحيح" المشكاة ٥٠٢، صحيح أبي داود ٤٠٠). ((عَنْ أبي السَّمْح): خادم النبي- صلى الله عليه وسلم- اسْمُهُ إيادٌ، صحابي له حديث واحد.)

فضل الرقة والرحمة في معاملة البنات خاصة:

عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قَالَتْ: (جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، وَأَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ). (أخرجه مسلم (٢٦٣٠).).

وفي رِوَايَةٍ قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَسَأَلَتْنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ. (أخرجه مسلم (٢٦٢٩)).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ. (أَيْ: مِنْ غِنَاهُ وَمَالِهِ، انظر: حاشية السندي على ابن ماجه- (ج ٧ / ص ٧٥)) كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٩)، انظر: صحيح الجامع: ٦٤٨٨).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنهما- قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، يُؤْوِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، وَيَكْفُلُهُنَّ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ". فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَتِ اثْنَتَيْنِ؟، قَالَ: "وَإِنْ كَانَتِ اثْنَتَيْنِ"، فَرَأَى بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ: وَاحِدَةً، لَقَالَ: "وَاحِدَةً". (صحيح لغيره: أخرجه أحمد (١٤٤٦٨)، انظر: "صحيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب" (١٩٧٥)).

وَعَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، أَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟، قُلْتُ: بَلَى يَا أُمَّهْ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ أَنْفَقَ عَلَى ابْنَتَيْنِ، أَوْ أُخْتَيْنِ، أَوْ ذَوَاتَيْ قَرَابَةٍ، يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا، حَتَّى يُغْنِيَهُمَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، أَوْ يَكْفِيَهُمَا، كَانَتَا لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ". (حسن لغيره: أخرجه أحمد (٢٧١٥٩)، انظر: "صحيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب"(٢٥٤٧)).

وعن أنس بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ.. (أخرجه مسلم (٢٦٣١))

أب يحلف لا يأكل من أجل صبيته:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَعْتَمَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَ الصِّبْيَةَ قَدْ نَامُوا، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ بِطَعَامِهِ، فَحَلَفَ لَا يَأْكُلُ مِنْ أَجْلِ صِبْيَتِهِ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَأَكَلَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ». (أخرجه مسلم (١٦٥٠)).

والحمد لله رب العالمين.

الإسلام دين العلم

إعداد
إبراهيم حافظ رزق
أنصار السنة المحمدية
منشأة البكاري - جيزة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن دين الإسلام هو دين العلم الذي أنار الله به البصائر وهدى به القلوب وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، فالقرآن كتاب الإسلام الباقي دعا الناس إلى العلم والتعلم، ورفع من شأن العلماء، فأول آيات القرآن نزولا دعوة إلى العلم. **يقول تعالى:** «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» **(العلق: ١- ٥). ويقول تعالى:** «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» **(المجادلة: ١١). وقال تعالى:** «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» **(فاطر: ٢٨).**

ورسول الإسلام الخاتم صلى الله عليه وسلم قد حثّ أمته على تعلم العلم النافع فقال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة..» رواه مسلم. وفي حديث الترمذي: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»، وفيه أيضا: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع». (صححه الألباني)

وما طلب الله من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يزداد من شيء من أمور الدنيا، وإنما طلب في أن يسأل ربه الزيادة من العلم، فقال تعالى: «وقل رب زدني علمًا»، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام كما في الترمذي وابن ماجه: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا». (صححه الألباني في الصحيحة).

والمقصود بالعلم هو العلم الشرعي الديني، ويراد به معرفة الله ومعرفة دين الإسلام وهو على قسمين:

الأول: علم بالأمور الاعتقادية كالعلم بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر... إلخ.

الثاني: علم بالأمور العملية كأعمال القلوب والجوارح والواجبات والمحرمات.

وهذا هو العلم النافع الذي ينفع الله به العبد في دينه ودنياه وأخراه، وقد قال ابن القيم رحمه الله في العلم النافع: «معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم». «الرسالة التبوكية».

وقد ذمَ الله في كتابه مَن ليس له علم بحدود ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى: «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ» (التوبة: ٩٧).

وقد قيل: العلم علمان: علم في القلب فذاك العلم النافع، وعلم في اللسان فذاك حجة الله على عباده، ولذلك أمر الله المؤمنين أن يعملوا بما علموا، فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (الصف: ٢، ٣).

كما حذر الله في كتابه من كتمان العلم عن

متعلميه. فقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا» (البقرة: ١٥٩، ١٦٠). وفي الحديث: «من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة». رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي.

والناس متفاوتون في تحصيل العلم الشرعي، فكل يأخذ بنصيبه الذي قدره الله له من العلم، كما قيل: القلوب أوعية، شأنها شأن الأودية في تحصيل نصيبها من الماء حال نزول المطر عليها. ففي الحديث: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ». (رواه البخاري ومسلم).

فشبه الرسول صلى الله عليه وسلم العلم الذي جاء به بالغيث؛ لأن كلاً منهما سبب الحياة؛ فالغيث سبب حياة الأبدان والعلم سبب حياة القلوب. ولذلك كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي». رواه أحمد، وابن حبان.

وأعظم العلوم وأشرفها هو علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد؛ لأنه يتعلق بذات الله الأحد الصمد بمعرفة أسمائه وصفاته وحقوقه على عباده.

ومن أفراده سبحانه بالعبادة وعدم الإشراك في ألوهيته وربوبيته وأسمائه ولذلك أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام قائلاً: «فاعلم أنه لا إله إلا الله...». وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت أي معاذ: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا».

وقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه باب: العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ» (محمد: ١٩).

وفي سياق حديثنا عن العلم الشرعي النافع نقول: «إن الإسلام لا يقف حجر عثرة في طريق تعلم علوم الدنيا النافعة كالطب والهندسة والفلك والكيمياء، وغيرها، بل إن هذه العلوم لم تعرف أساسًا إلا من خلال العرب المسلمين ثم نقلها عنهم غيرهم، ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا في العصور الوسطى تئن تحت وطأة الجهل والعمى كان الشرق الإسلامي منارة للعلم والحضارة. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض العلوم التي لم تعرف إلا في العصر الحديث كعلم الأجنة، وعلم طبقات الأرض وعلم طبقات الجو العليا وعلم الأجناس وغيرها».

وفي الختام نقول: إن من أشراط الساعة: رفع العلم وظهور الجهل كما في حديث أنس رضي الله عنه: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويظهر الجهل». رواه مسلم. ورفع العلم وظهور الجهل يكون بموت العلماء الربانيين الذين هم منارات العلم ومصابيح الهداية والذين حملوا عبء الدعوة إلى الله وبيان ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم. ففي حديث البخاري: «إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العباد، ولكن يقبض العلم كقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا».

فعلى شباب الإسلام أن يجدوا في سبيل تحصيل العلم الشرعي النافع وأن يأخذوا بأسباب تحصيل العلوم الحديثة ولا يتركوها لغيرهم ليلحقوا بركب الحضارة والتقدم. وقد قيل:

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيًا به أبدا
فالناس موتى وأهل العلم أحياء

نسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح الذي يرضى به عنا.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أشد الناس بلاءً

إعداد: الشيخ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد، فقد أكد رب العزة عز وجل أن ابتلاء الناس أمر لا محيص عنه حتى يأخذوا الأهبة والاستعداد للنوازل، فلا تذهلهم المفاجأة، قال سبحانه: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» (البقرة: ١٥٥). وقد يكون ما يُنزله الله بالعبد ابتلاءً وامتحانًا، ليُعظم أجره، ويُعلي منزلته، فإن بلوغ المنازل العالية بالصبر على البلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلّغه إياها». صحيح الترغيب (٣٤٠٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو ماله، أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل». صحيح الترغيب (٣٤٠٩).

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يبتلي الخُلّص من عباده، فعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». صحيح الترغيب (٣٤٠٢).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا رسول الله، من أشد الناس بلاءً؟ قال: «الأنبياء»، قال: ثم من؟ قال: «العلماء»، قال: ثم من؟ قال: «الصالحون وكان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله، ويُبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء». صحيح الترغيب (٣٤٠٣).

ومن الابتلاءات التي تعتري الإنسان

المرض، وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»، صحيح الجامع (١٠٧٧).

كما أشار إلى هذا المعنى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك». البخاري (٦٤١٦).

وللجميع في رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى، والقدوة الحسنة فقد مرض وصبر على مرضه صلى الله عليه وسلم. عن أبي سعيد رضي الله عنه: أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موعوك عليه قطيفة، فوضع يده فوق القطيفة فقال: ما أشد حماك يا رسول الله! قال: «إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر»، صحيح الترغيب (٣٤٠٣).

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام أصبح صبره على ابتلائه مضرب المثل: فلان صابر صبر أيوب. ولمَ لا وقد لبث في مرضه ثمان عشرة سنَة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن نبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة». الصحيحة (١٧). وليس كأي بلاء؛ فيذكر أنه لم يبقَ في جسده عليه السلام مغرز إبرة سليمًا سوى قلبه، ومع هذا صبر واحتسب حتى ظفر بثناء الله عليه فقال عز وجل: «إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ» (ص: ٤٤)، فإن عاقبة الصبر الفرج والمخرج من كل كرب بإذن الله. وقد وعد الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الصابرين على المرض بمنَح ثمينة وأجور عظيمة.

١) دخول الجنة:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها. البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

٢) أنه علامة على إرادة الله تعالى بصاحبه الخير:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن يرد الله به خيرًا يُصب منه». البخاري (١٠/١٠٣). معنى (يصب منه): أي: يبتليه بمصيبة في بدنه أو ماله أو محبوبه.

٣) الظفر بلقب الإيمان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن: إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». مسلم (٢٩٩٩). ففي الحديث دلالة: على أن حياة المؤمن كلها خير وأجر له عند الله، سواء أكان فيما يظهر له أنه شر أو خير. فالمؤمن الذي كمل إيمانه، وخلص يقينه يشكر الله في السراء، ويصبر على الضراء فهو يتقلب في مقام الرضا، ولذلك تنقلب النقمة في حقه نعمة والمحنة منحة، بما فيها من أجر وثواب وحسن مآب.

٤) نيل أجر الشهيد:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها أنه: «كان عذابًا يبعثه الله تعالى على مَن يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد». البخاري (٦/٥١٣).

٥) تكفير السيئات ورفع الدرجات:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صداع المؤمن، أو شوكة يشاكها، أو شيء

يؤذيه، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة، ويكفّر عنه بها ذنوبه». صحيح الترغيب (٣٤٣٤).

٦) جريان عمل المريض حتى يشفى:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا». البخاري (٢٩٩٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد من الناس يُصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه قال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي». صحيح الترغيب (٣٤٢١).

٧) معية الله للمريض:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟». مسلم (٢٥٦٩).

٨) رحمة الله تحفّ بالمريض:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضًا خاض في الرحمة، فإذا جلس عنده استنقع فيها». صحيح الترغيب (٣٤٧٩).

٩) عيادة الملائكة للمريض الذي كان يصلي في المسجد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للمساجد أوتادًا، الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم». صحيح الترغيب (٣٢٩). معنى (أوتادًا): يعني: روادًا.

١٠) إن المريض إذا حمد الله لعوّاده أدخله الله الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظروا ما يقول لعواده فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله عز وجل وهو أعلم، فيقول: لعبدي عليّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن شفيته أن أبدله لحمًا خير من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفر عنه سيئاته». صحيح الترغيب (٣٤٣١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عُوّاده أطلقته من أساري ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل». صحيح الترغيب (٣٤٢٤).

١١) النجاة من النار:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمى كير من جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار». صحيح الجامع (٢١٨٨).

١٢) كلما اشتد المرض كان الأجر مضاعفًا:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكًا شديدًا قال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفّر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها». البخاري (١٠/١١٠)، ومسلم (٢٥٧١).

١٣) غبطة أهل العافية لأهل البلاء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت في الدنيا بالمقاريض». صحيح الترغيب (٣٤٠٤).

١٤) ذكر ينجي المريض من النار بإذن الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر صدقه ربه،

فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له». قال: «يقول: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال الملك لا إله إلا أنا ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي». وكان يقول: «من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار». صحيح سنن الترمذي (٣٤٣٠)، باب ما يقول العبد إذا مرض.

١٥) الفوز بالأجر الذي لا يعلمه إلا الله:

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر: ١٠). فكل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر لأجل هذه الآية كالماء المنهمر.

١٦) الظفر بمحبة الله عز وجل:

قال الله عز وجل: «**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**» (آل عمران: ١٤٦). وهي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، كيف لا وقد وعد الله عز وجل حبيبه بتزكيته وتطهيره فقال عز وجل: «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه». البخاري (٦٥٠٢).

فمن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والانشغال بذكره وعبادته وسخر جوارحه في رضاه سبحانه، ويعصمه من الخطأ والعصيان، وإذا استعاذ بالله من شيء أعاذه منه، وإن سأل الله شيئًا أعطاه، وإذا دعاه أجابه وأسعده برضاه، بل ونجاه من النار وعلى هذا أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: «والله، لا يلقى الله حبيبه في النار». صحيح الجامع (٧٠٩٥). فهذا جزاء من صبر واحتسب ورضي بقضاء الله وقدره.

فكل ما يصيب العبد إنما هو بمقتضى تقدير العزيز العليم، ولا يعلم العبد أين الخير في أي تقدير، وما عليه إلا الرضا بقدر الله. حيث يعلم أن كل ما يصيبه إنما هو بإذن الله. قال الله تعالى: «مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ» (التغابن: ١١)، وهذا وعد من الله أن من يؤمن بالله وبقضاء الله فإن الله يهدي قلبه، ويرشده ويجعله راضيًا محتسبًا، فيكون على نور من ربه، وفي ذلك كمال السعادة، لأنه قد جعل خيار أمره لله، وهذا مجمل الإيمان بالقضاء والقدر. فهل بعد هذا يجزع مريض من قضاء الله وقدره؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». صحيح النسائي (١٣٠٤).

فيا أخي الحبيب: أحسن الظن بالله؛ فقد قال عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله». صحيح الجامع (٤٣١٥).

فأحسن الظن- أخي الحبيب- بربك الرحمن الرحيم فهو سبحانه أرحم بالعبد من نفسه التي بين جنبيه فعلق قلبك بالله فهو الشافي سبحانه لا شفاء إلا شفاؤه وقد قال الله عز وجل على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: «ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» (الشعراء: ٧٨- ٨٠). وأخيرًا أقول لك أيها الحبيب: شفاك الله وعفاك «لا بأس طهور إن شاء الله».

وأبشرك قريبًا- إن شاء الله- نراك وأنت في كامل الصحة وأحسن حال، وتسارع إلى صالح الأعمال بإذن الملك الوهاب.

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد: فلقد بينّا في المقال السابق أهمية تنوع السياق وتعدده وأثر ذلك في اختيار وصف العذاب الأخروي المعين دون غيره، وفيما يلي أمثلة تحليلية لدور السياق في إيثار وصف "الألم" دون غيره من أوصاف العذاب.

المثال الأول:

قال تعالى: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ » (البقرة: ٨- ١٠).

وقال تعالى: « بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا » (النساء: ١٣٨- ١٣٩).

وقد توعد الله عز وجل المنافقين بعذاب أليم في مواطن عديدة، وهاتان الآيتان متشابهتان من حيث الحديث فيهما عن المنافقين. وسياق آية البقرة يتحدث- بعد ذكر المؤمنين والكافرين- عن المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، فلما كان المنافق مخفيًا لكفره ومظهرًا للإيمان الكاذب ناسب أن يكون عذابه من أقسى أنواع العذاب وهو العذاب الأليم لخداعه للناس، والمنافقون هم فريق متردد متحير بين المؤمنين والكافرين، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويعتقدون أنهم- بجهلهم- يخدعون الله عز وجل، ويخدعون المؤمنين، وما يخدعون في الحقيقة إلا أنفسهم، ولا يشعرون بذلك فإن في قلوبهم شكًا وفسادًا، فابتلوا بالمعاصي الموجبة لعقوبتهم فزادهم الله شكًا، وجعل لهم عقوبة مؤلمة موجعة بسبب كذبهم ونفاقهم.

إذن هو نوع من العذاب يؤلم ويثير الرعب والفزع، كما يفيد التنكير التفخيمي والوصف نفسه، وتقديم الخبر (لهم) فالعذاب محصور فيهم مقصور عليهم.

وصفة أليم هنا مناسبة للمنافقين المخادعين؛ لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان، والمخدوع أو المشتري المغبون يتألم من حيث كان يريد أن يفرح. و قد أسند الأليم إليهم مجازًا، وحقيقته لصاحبه.

وقال القاسمي: قال في المحكم: الأليم من العذاب الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، ومنه يعلم وجه إيثاره في عذاب المنافقين على العظم المتقدم في وصف عذاب الكافرين، ويؤيده « إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا » (النساء: ١٤٥).

وسنرى أن وصف (أليم) وصف به الكافرون أيضًا كما سيأتي.

وفي آية النساء عبر عن المنافقين في السياق الآخر بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فكانت العقوبة عذابًا أليمًا موجعًا، وجاءت لفظة (بشر) لتعطيهم أملًا في تحقيق مرادهم ثم كانت البشرى عذابًا أليمًا، أو أنها من قبيل الاستعارة التهكمية حيث يتوجه الخطاب إليهم فيتهيؤون لخير، ثم يصدمون بالعذاب الأليم، وقد استخدم حرف إن

للتأكيد، وتقديم (لهم) للاختصاص. مع تنكير الصفة والموصوف للتهويل والتفخيم.

المثال الثاني:

قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (البقرة: ١٠٤).

وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ » (آل عمران: ٢١- ٢٢).

وقال تعالى: « فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (النساء: ١٦٠- ١٦١).

تتشابه سياقات هذه الآيات من حيث تضمنها وعيدًا لليهود. فسياق آية البقرة فيه تلويح بخبث اليهود حين كانوا يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون: يا محمد راعنا وهم لا يقصدون أن ينظر إليهم، إنما يلوون ألسنتهم قاصدين الرعونة، فنهى المؤمنون أن يقولوا مثل قول اليهود في خطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم، فقوله تعالى: « وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (البقرة: ١٠٤) إشارة إلى اليهود فلما كان الاستهزاء من يهود بالنبي صلى الله عليه وسلم ناسب أن تذكر بعض قبائحهم (راعنا) وهو تعريض بسبه صلى الله عليه وسلم ولم يصرح بإسنادها إليهم، بل خوطب المؤمنون بها على سبيل النهي، وضمن فيه التعريض باليهود، فقال: « وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (البقرة: ١٠٤) كما عرضوا بمضمونها ولم يصرحوا، فطابقت الآية صنيعهم.

وقوله (وللكافرين)- لام التعريف فيها للعهد، أي لليهود الذين تهاونوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في قولهم (راعنا) فوضع الظاهر موضع المضمر، للإشعار بأن قولهم ذلك كان تهاونًا بالرسول صلى الله عليه وسلم، ومن صدر منه ذلك الفعل كان غاليًا في الكفر مستحقًا أن يعذب عذابًا أليمًا، وكأنهم - بتقديمهم- مختصون بهذا اللون من العذاب دون غيرهم.

وآية آل عمران فيها تهديد ووعيد لليهود أيضًا لما كانوا عليه من صفات الكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء وقتل الذين يقسطون من الناس، فبشروا بعذاب أليم والفعل مقترن بالفاء، والبشارة لون تهكم، والجملة تبدأ بالتوكيد (إن) للدلالة على صدق وقوع هذه الأفعال منهم. وجاء الوصف (أليم) بزنة فعيل- الصفة المشبهة- الدالة على الثبات والدوام، ولم يقل (مؤلم) التي توحي بالتجدد والحدوث فحسب.

فلهؤلاء عذاب فيه ألم مستمر، وليس كل عذاب مشتملاً على الاستمرار، ولعل مما يؤكد هذا المعنى التهويل الذي يشتمل عليه التنكير في هذا الوصف (عذاب أليم). مع ملاحظة- صيغة فعيل الدالة على الثبوت الدوام.

وفي آية النساء مزيد بيان لصفات اليهود الذين يظلمون ويصدون عن سبيل الله ويتعاملون بالربا ويأكلون أموال الناس بالباطل، فجاء الوعيد «وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٦١». وهنا أظهر (الكافرين) صفة اليهود، ولم يقل (لهم) ليتأتى وصف الكفر لكل من يبدر منه هذه التصرفات وتلك الصفات فيحق عليه العذاب الأليم. ونلاحظ أن الجملة هنا فعلية لدلالتها على الحدوث والتجدد وهو أمر بين في تعدد الصفات السيئة عندهم وتنوعها، مع ملاحظة أن (أعتدنا) تشير إلى معنى المضي- وكأنه قد فرغ منه- المفيد لتحقق العقوبة لمن يتلبس بهذه الخصال، ثم ذكر (منهم) لمزيد خصوصية لأصحاب هذا النوع من الكفر.

المثال الثالث:

قال تعالى: « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النحل: ١١٦- ١١٧).

هذا خطاب للمشركين بأن لا يقولوا الكذب الذي تصفه ألسنتم من قولهم: هذا حلال، لما حرمه الله، وقولهم: هذا حرام، لما أحله الله، ليختلقوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه، إن الذين يختلقون على الله الكذب وينسبونه إليه سبحانه لا يفلحون ولا يفوزون بخير في الدنيا ولا في الآخرة، وهؤلاء يتمتعون قليلاً في الدنيا وهو متاع زائل، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع مستمر.

تلاحظ الأفعال المضارعة (تقولوا- تصف- تفتروا- يفترون- لا يفلحون) للدلالة على تجدد أو حدوث هذه الفعال من هؤلاء المشركين، مع ملاحظة اسمية (الكذب) الذي يداومون عليه لأنها صفة راسخة ثابتة فيهم، مع التأكيد في (إن) للدلالة على النتيجة الحتمية لمن يفترون على الله الكذب، بأنهم لا يفوزون، وإنما يستمتعون متاعًا قليلاً في الدنيا ثم يدوم لهم العذاب في الآخرة.

فصفة الافتراء على الله وهي أشد أنواع الكذب بأن يقولوا على الله بغير علم أو ينسبوا لله ما لم يقله سبحانه تقتضي أن يعذب أصحابها عذابًا أليمًا دائمًا، يفيده التقديم الذي يفيد التخصيص والقصر، ويفيده التنكير في الصفة والموصوف ليدل على التهويل والترويع، كما تفيده صيغة فعيل الدالة على الدوام والاستمرار.

وواضح أن كذبهم وافتراءهم كان من أجل البحث عن المتاع الدنيوي، وعادة الكذاب أنه يكذب ليحصل متاعًا ما- فجاء تذييل الآية ليبين أن ما سيتحقق لهم في الدنيا من متاع فهو قليل- إذا ما قيس بمتاع الآخرة ولذائذها- وفي مقابل ذلك المتاع القليل، سيختصون بعذاب أليم يصيبهم بالحسرات ويؤلمهم في أجسادهم.

المثال الرابع:

قال تعالى: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (إبراهيم: ٢٢).

وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» (الحج: ٢٥).

وقال تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (الشورى: ٢١).

هذه سياقات متشابهة من حيث الحديث عن الظالمين. فممن أعد لهم عذاب أليم فريق الظالمين، سواء كان ظلمهم للناس أو لأنفسهم، وأعلى أنواع الظلم هو الإشراك بالله: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣).

ومن الظلم غبن الناس وانتقاصهم حقوقهم. والآيات- التي معنا- تركز على الظلم بمعنى الشرك، ولذا فإن الشيطان يتنصل من أتباعه الذين وقعوا في دائرة الشرك، وانكشف لهم ما كان مستورًا حين كانوا في الدنيا تابعين للشيطان فيما يأمرهم به، وقد استجابوا له، ويأتي ليتبرأ منهم ويوجه لهم اللوم، ويعلن كفره بما أشركوه به ثم تذيل الآية: «وإنَّ الظالمينَ لهُمْ عذابٌ أليمٌ ٢١».

وقد تكون الجملة استئنافًا من الله عز وجل يقطع به أن الظالمين أي من وقعوا في ظلم أنفسهم بسبب الشرك بالله- لهم عذاب أليم.

وقد تحمل الجملة معنى أن يكون الشيطان هو قائلها تتمة لما بدأه من قوله: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ» (إبراهيم: ٢٢).

فالعذاب أليم موجع ومستمر، ومؤكد بإن، وبالتقديم للخبر، وبالتنكير للصفة والموصوف ليفيد التهويل والتفخيم.

ولعل مما يؤكد ما ذهبنا إليه ما في آية الشورى من حديث عن المشركين الذين اتخذوا شركاء مع الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله فتتناسب العقوبة في الموضعين لتشابه الموقفين، مع ملاحظة الظواهر الأسلوبية ذاتها.

وفي آية الحج كفر وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام وإرادة الإلحاد بالميل عن الحق ظلمًا فيعصي الله في المسجد الحرام فكان عقابه «نُذقْهُ منْ عذابٍ أليم ٢٥»، فناسبت العقوبة ضخامة الجرم، مع ملاحظة الفعل (نذقه) الذي يعكس رغبة الآثم في أن يذيق المؤمنين مرارة بصدهم عن سبيل الله، فيذوق هو مرارة العذاب الأليم الذي يجده في نفسه وبدنه، وكأنه يتذوقه طعامًا أو شرابًا فيتجرعه ولا يكاد يسيغه، وهو عذاب أليم منكر، واستعمل معه التقديم ليفيد الاختصاص والقصر.

نكتفي بهذه الأمثلة في وصف الألم، ونتناول في المقال القادم- إن شاء الله- وصف شديد.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

التوحيد
الحقد النصيري على أهل السنة
وقفات شرعية
يا دعاة
رمضان
١٤٢٣

مجلة

التوحيد

هدايا قيمة

لأول ١٠٠

من المشترين

١٠٠٠

جنيه مصري سعر الكرتونة

بدلاً من

~~١٢٥٠~~

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة

سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا

بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

ت/٠٢٢٣٩٣٦٥١٧